وهابیت

در ترازوی نقد

ترجمه: الوهابیه دعاوی وردود

مؤلف: حاج شیخ نجم الدین طبسی

مترجم: صفر سفیدرو

بسم الله الرحمن الرحیم

الوهابيه دعاوى و ردود

كاتب:

نجم الدين طبسى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الوهابیه دعاوی و ردود: دراسه فی افکارهم و مناقشه لارائهم

اشارهٔ

سرشناسه : طبسی، نجم‌الدین، ۱۳۳۴ -

عنوان قراردادی : الوهابیه دعاوی و ردود: دراسه فی افکارهم و مناقشه لارائهم . عربی.

عنوان و نام پدیدآور : وهابیت در ترازوی نقد/مولف نجم‌الدین الطبسی ؛ مترجم صفر سفیدرو.

مشخصات نشر : تهران: نشرمشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۲۳۲ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۰۹-۴

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

موضوع : وهابیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

شناسه افزوده : سفیدرو، صفر، ۱۳۴۴ - ، مترجم

رده بندی کنگره : BP۲۰۷/۶/ط۲و۹۰۴۱ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۶

شماره کتابشناسی ملی : ۲۳۳۶۸۶۷

ص: ۱

اشارهٔ

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

المقدمة

ص: ۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ابتلى العالم الإسلامى- خصوصاً بلاد الشام عام ۶۹۸ ه. ق بهجمات عنيفة وشرسة من أحد المحسوبين على الإسلام. كان قد نَشَرَ الأفكار الباطلة والمنحرفة. فتصدّى له علماء المذاهب، والفقهاء إلى أن طُرد وحبس وضيّق عليه حتّى مات فى الحبس- هذا بعدما نصحه القريب والبعيد، وحذّره الصديق والعدوّ، فلم يرتدع ولم يرجع من غيّه وضلالته.

ومن معاصريه الذين نصحوه شمس الدين الذهبى صاحب ميزان الاعتدال حيث خاطبه قائلًا:

«.. يارجل! باللّه عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام، إيّاكم والغلوطات فى الدين كره نبيُّكَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال.. وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلب إذا كان فى الحلال والحرام، فكيف إذا كان... تلك الكفريات التى تعمى القلوب... يا خيبة من اتبعك فإنّه معرضٌ للزندقة والانحلال، لاسيما

ص: ۶

إذا كان قليل العلم والدين.. فهل معظم أتباعك إلّاقعيد مربوط خفيف العقل!؟ أو عامى كذّاب بليد الذهن!؟ أو غريب واجم، قوى المكر!؟ أو ناشف صالح عديم الفهم... يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادى الأخيار!؟ إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار!؟

إلى كم تعظّمها وتصغر العباد!؟ إلى متى تخاللها وتمقت الزهّاد!؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح- واللّه- بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كل وقت تُغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار..» (۱)

وكاد الباطل أن يضمحلَّ بعد قطع دابر الذين ظلموا، لولا أن تصدّى بعض تلامذته، لمواصلة مسيره والترويج لمذهبه، ولكن تلك المحاولات باءت بالخيبة والفشل أيضاً، ولم يكن لها كبير أثرٍ على المسلمين، إلى أن ظهرت دعوة محمّد بن عبدالوهاب إمتداداً لدعاوى ابن تيمية، بدعم عسكرى من محمد بن سعود- وتحالفٍ بينهما- فكفَّر البلاد الإسلامية، وأنكر المسلّمات، وهاجَمَ المعتقدات، وانتهك الحرمات وسَفَكَ الدماء وقَتل الآلاف من الأبرياء.

فأحسَّ العالم الإسلامى بالخطر من جديد واستعدَّ للدفاع والمقاومة، وتأهَّب لحالة طوارى جديدة، وكان أوّلُ من تصدَّى له

۱- تكملة السيف الصقيل للكوثرى: ۱۹۰- كتبه من خط قاضى القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خط الشيخ الحافظ أبى سعيد ابن العلائى وقد كتبه من خط الذهبى، وذكر شطراً منه العزامى فى الفرقان: ۱۲۹- انظر الغدير ۵: ۸۹- هذا وقد حاول البعض إنكار هذه الرسالة ونفى صدورها عن الذهبى، ولكنها محاولة يائسة بلا طائل.

ص: ۷

والـده ثم أخوه الشیخ سلیمان حیثُ ألَّف کتاباً فنَّد فیه عقائدَ أخیه وأهـاب وحـذَّر المسـلمین منها ودعاهم للوقوف بوجه هـذا الغزو الفکری الخطر ثم توالت محاولات التصـدی لمواجهـة هذا التیّار مواجهة علمیة من قِبَل علماء من جمیع المذاهب الإسـلامیة، لتکذیب أحدوثته وتفنید أباطیله بسیف الحجّة والبرهان.

وکان من الواجب علی کل المسلمین القیام بدورهم فی مواجهة هذه التیّارات، وتفنید مبانیها، وإظهار خطأ معتقداتها، وفضح شذوذها، وبُعدها عن الإسلام.

وأنا بـدوری کواحـد من طلبـة العلوم الدینیـة- فی الحوزة العلمیـة- ومن آحاد المسـلمین- أعلی اللَّه کلمتهم- رأیت من واجبی القیام بتکلیفی الشـرعی فی صـدِّ هـذا التیّار الهـدّام من خلال إلقاء الـدروس والمحاضـرات، وتوعیـة الجیل الجدیـد علی حقیقة هذه الدعوة الباطلة، وتحذیره ممّا یجری بإِسم الدین، وتوجیهه للقیام بمسؤولیته فی القضاء علی مثل هذه الأفکار.

وهذا الکتاب مجموعة محاضرات ألقیتُها فی هذا الصدد.

وسیلاحظ القاری الکریم فیه أننا:

۱- ناقشـنا الأحادیث التی تعتبرها الوهابیـة دلیلًا تعتمـده وترتکز علیه فیما تـذهب إلیه من الرأی الباطل، وأثبتنا خطأ ما ذهبت إلیه. کما أوردنا آراء علماء الرجال بصدد رواتها، وأثبتنا ضعف تلک الأحادیث سنداً، حتی لا یبقی للوهابیة ما ترتکز علیه من روایة وحدیث.

۲- یمتاز هذا الکتاب عن بعض ما أُلِّف فی هذا المضمار بکثرة

ص: ۸

الشواهـد والنصوص التاريخيـة، لردِّ دعوى الوهابيـة، والفضـل والفخر للإمـامين العلمين: الأمين- صـاحب كشف الارتيـاب- والأمينى صاحب الغدير، الَّذين سبقا فى بذل غاية الجهد فى تفنيد الفكرة الوهابية.

۳- اكتفينا فى هذا الحقل بالمواضيع التى كثيراً ما تثيرها الوهابية كمسألة زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وشدّ الرحال والقصد إليه، وزيارة القبور والتبرّك والتمسّح بها، وبالآثار، والصلاة والدعاء عند القبور، وفى المشاهد، والإسراج عندها، والنذر، ومسألة الشفاعة مع تفصـيل ضـرورى فيها، والحلف بغير اللَّه، وإقامـة الاحتفالات وغيرها من المسائل التى تثيرها الوهابية، وكثيراً ما سـمعناها ونسـمعها من مشايخهم أيّام فريضة الحج سيما فى الحرمين الشريفين.

ونسـمعها من أعضاء هيئـة الأمر بالمعروف التى اعـدَّت خصِّيصاً للخوض فى مناقشـة الوافدين إلى الحج مناقشة محصورة فى خصوص هذه المحاور، ولا شأن لها بمسألة الاحتلال الصـهيونى، وخطط إسـرائيل الشـيطانية فى المنطقة وفى العالم، ولا بمواقف أمريكا العدائية من المسلمين، ولا بقضايا الجزائر والسودان وافغانستان، أو مسلمى البانيا والبلقان.

وفى الختام نشكر صديقنا العزيز الاستاذ المحقّق على الشاوى الذى أتحفنا بملاحظات قيّمة فله منّا جزيل الشكر.

هذا ونحمد اللَّه تعالى على هذا التوفيق، انّه ولىّ النِّعم.

قم المقدّسة/ نجم الدين الطبسى

۴/ شوال/ ۱۴۱۷ ه.

ص: ۹

المدخل

إنّ المنصف لو سبر عمق التاریخ ودرس سیرة الخوارج وأفکارهم المتحجرة وفهمهم الخاطئ للإسلام والقرآن والخلافۀ الإلهیۀ وموقفهم تجاه المسلمین؛ من تکفیرهم جزافاً وجهلًا واستحلال دمائهم وأموالهم، ثم أنعم النظر وتأمّل بعین الإنصاف لا العصبیۀ فی سلوك الوهابیین وفتاواهم وسیاستهم تجاه الامّۀ الإسلامیۀ، لرأى نهج الوهابیۀ وخصائصها إمتداداً لحرکۀ الخوارج فی النهج والخصائص والمسلمون من یوم تحکّم ابن وهاب، إلی یومنا هذا یدفعون ضریبۀ تأثیر ذلك التیار الخطر.

عندما نری الیوم شعار: لا دعاء إلّااللّه، ولا شفاعۀ إلّااللّه، ولا توسّل إلّاباللّه، ولا إستعانۀ إلّاباللّه. یتداعی فی أذهاننا شعار الخوارج: لا حکم إلّااللّه.

عندما نری الیوم حکم الوهابیۀ بشرك من خالف معتقدهم ولم تسمع منهم إلّاخطاب: یا مشرك! یاکافر!.. یتداعی إلی الذهن تکفیر

ص: ۱۰

الخوارج من عداهم من المسلمين.

عنـدما نرى الوهابيـة كيـف تهلـك الحرث والنسـل وتسـتأصل المسـلمين بحجّـة أنهـم يطلبـون الشـفاعة مـن الميّت ويتوسّـلون بـالنبى والصالحين، يتداعى إلى الذهن جمود الخوارج وتحجّرهم وغباؤهم فى فهم الإسلام.

بينمـا تراهم يتورّعون عن أكل تمرة ملقاة فى الطريق بـدعوى عـدم رضا صاحبها، أو يتورّعون فى قتل خنزير شارد بـدعوى احتمال أن يكون لكتـابى فى ذمّـة الإسـلام، تراهم وبكل صـلافة ووقاحـة يقتلون صـحابياً صائماً وفى عنقه القرآن ويتقرّبون بسـفك دمه إلى اللَّه تعالى، فترى المسـلمين خوفاً من بطشـهم وخشـيةً على أنفسـهم يتظاهرون بأنّهم من أهل الكتاب ولا يُظهرون أنّهم مسـلمون (۱)، بينما يسفك دم من يثنى على على بن أبى طالب عليه السلام ويقول فيه خيراً (۲).

حينما نرى من الوهابيـة تطبيق الآيـة الكريمة: وَأنَّ المساجد للَّه فلا تدعوا مع اللَّه أحداً (۳) على من يتوسَّل بقبر النبى الكريم صـلى الله عليه و آله أو بقبر صحابى جليل، أو بقبر أحد الصلحاء، يتداعى إلى الذهن تطبيق

۱- لقيهم قوم مسلمون، فسألوهم من أنتم؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة فقال- المسلم لاخوته- اتركو الجواب لى، قال: نحن قوم من أهل الكتـاب، اسـتجرنا بكم حتى نسـمع كلاـم اللَّه ثم تبلغونا مأمننا، فقالوا: لا تخفروا- أى أجيروا- ذمـة نبيّكم فأسـمعوهم شـيئاً من القرآن وأرسلوا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم. راجع كتاب: السيرة الحلبية ۳: ۱۴۰.

۲- قالوا لعبد اللَّه بن خباب ما تقول فى على؟ فأثنى خيراً. فقالوا: إنّك ممّن يتّبع الرجال على أسمائها، وفعلوا معه ما فعلوا. راجع السيرة الحلبية ۳: ۱۴۰.

۳- الجن: ۱۸.

ص: ۱۱

الخوارج آیات نزلت فی الکفار والمشرکین، علی المسلمین والمؤمنین کما قاله ابن عمرو ابن عباس، فعن ابن عمر: «انّهم انطلقوا إلی آیات نزلت فی الکفار فجعلوها فی المؤمنین» (۱)

وعن ابن عباس: «لاـ تکونوا کالخوارج تأَوَّلوا آیات القرآن فی أهل القبلة، وانّما نزلت فی أهل الکتاب والمشرکین فجهلوا علمها فسفکوا الدماء وانتهبوا الأموال» (۲)

والحال أَنَّ من ضروریات الدین أن کل من أجری الشهادتین علی لسانه فهو محقون الدم، ومعدود من المسلمین وله ما لهم وعلیه ما علیهم، ولا حاجة إلی کلفة شق قلبه کی یعرف هل دخل الإیمان فی قلبه أو أنه أسلم بلسانه!!

ولعل هذا الأمر لم یکن عند الوهابیة من الضرورات فباتت تکفر من لا یلتزم بمزاعمهم، کأنّهم نسوا الآیة الکریمة: ولا تقولوا لمن ألقی إلیکم السلام لست مؤمناً (۳)، أو لم یسمعوا مقالة النبی الکریم صلی الله علیه و آله لأسامة معترضاً علی ما ارتکبه: «فقد بعث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله سریة علیها اسامة بن زید إلی بنی ضمرة. فلقوا رجلًا منهم یدعی مرداس بن نهیک معه غنم له، وجمل أحمر، فلما رآهم، آوی إلی کهف جبل واتبعه اسامة، فلما بلغ مرداس الکهف، وضع فیه غنمه ثم أقبل إلیهم فقال:

السلام علیکم، أشهد أن لا إله إلّااللَّه وأن محمّداً رسول اللَّه، فشدَّ علیه

۱- انظر البخاری ۴: ۱۹۷.

۲- کشف الارتیاب: ۱۲۴.

۳- النساء: ۹۴.

ص: ۱۲

اسامـة فقتله من أجل جمله وغنمه... فلما أكثروا عليه رفع صـلى الله عليه و آله رأسه إلى اسامة فقال: كيف أنت ولا إله إلّااللَّه...؟ فقال: يارسول اللَّه إنّما قالها متعوّذاً تعوّذ بها. فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: هلّا شققت عن قلبه فنظرت؟ فأنزل اللَّه خبر هذا؛ وأخبر انّما قتله من أجل جمله وغنمه (۱)

ان الخوارج «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وفى رواية أُخرى: «يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية» (۲) نخشى أن يكون قوله عليه السلام- حينما سألوه عن نجد- قال:

«هنالك الزلازل والفتن منها» (۳)، أو قوله: «بها يطلع قرن الشيطان» ناظراً إلى هـذا التيار الـذى ظهر فى نجد والمتّبعين لرأيه فانّ معنى القرن كما فى القاموس: الأُمة، والمتبعون لرأيه، أو قومه وانتشاره وتسلّطه (۴)

نسأل اللَّه عزّوجلّ أن يوحّد كلمة المسلمين ويقوّى عزمهم على من سواهم، وينوّر قلبهم بهدى الإسلام ويرزقهم الفهم والبصيرة.

كمـا نأمـل أن يتقبّل المتحجّرون الفرحون بما عنـدهم، فكرة الحوار وجهاً لوجه، لعل اللَّه يزيل عنهم سوء الفهم والمغالطات ويرزقهم نور الفهم والإنفتاح على الحق والإقبال عليه إنّه ولىّ التوفيق.

۱- الدر المنثور ۲: ۳۵۷. مجمع البيان ۳: ۱۴۹.

۲- مسند أحمد ۲: ۱۱۸- الجامع الصحيح ۴: ۴۸۱.

۳- مسند أحمد ۲: ۸۱ و ۴: ۵.

۴- القاموس ۳: ۳۸۲، مادة قرن.

ص: ۱۳

الفصل الأوّل:

الشفاعة

الفصل الأوّل: الشفاعة

اشارة

۱- رأی الوهابیة فی الشفاعة

۲- معنی الشفاعة

۳- مورد الشفاعة

۴- دور الشفیع

۵- الشفعاء

۶- تقریر آخر للجواب

۷- حیاة النبی صلی الله علیه و آله بعد الموت

۸- رأی العلماء فی الحیاة بعد الموت

۹- استفهام وجواب

۱۰- رأی السُبکی فی بقاء الروح

۱۱- من الروایات فی الشفاعة

۱۲- طلب الشفاعة فی سیرة الصحابة

ص: ۱۴

ص: ۱۵

لقد منعت الوهابية طلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين والملائكة- الذين أخبر اللَّه تعالى بأن لهم الشفاعة- وجعلوه كفراً تحلُّ به دماءُ المستشفعين وأموالهم!

قال محمـد بن عبـدالوهاب: «إن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شـفاعتهم والتقرّب إلى اللَّه بذلك هو الذى أحلَّ دماءهم وأموالهم».

وهذا المضـمون أخذه من ابن تيمية حيث قال: «إنّ الّذين قاتلهم النبى صلى الله عليه و آله مقرّون بما ذكرت وبأن أوثانهم لا تدبِّر شيئاً وانّما أرادوا الجاه والشـفاعة وأنهم ما أرادوا ممّن قصـدوا إلّاالشـفاعة، وإن طلب الشـفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفّار ما نعبدهم إلّاليقرّبونا».

معنى الشفاعة:

وهى من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة

ص: ۱۶

الناقصـة التی مع المستشـفع فتکتمل الوسـیلة وترقی بالشـفیع إلی حدِّ القبول والتأثیر، فیتأهل المستشـفع لنیل المراد، والفوز بما لم یکن أهلًا للفوز به لنقص وسیلته وقصورها.

مورد الشفاعة:

إنَّ الإنسان لا یکون مورداً للشـفاعة إذا أراد نیل ثوابٍ أو درجـة من غیر سـعی ولا تهیئـة أسـباب بلوغ ذلک الثواب أو تلک الدرجـة، ویکون مورداً للشفاعة إذا کانت له القابلیة واللیاقة للتلبّس بالکمال وبلوغ الدرجة المقصودة وقد سعی لها سعیها، لکنه لم یتأهّل لنیلها، لنقص وسیلته بسبب تقصیر منه، فیأتی دور الشفیع هنا لرفع النقص، لأن الشفاعة متمّمة للسبب لا مستقلّة فی التأثیر.

دور الشفیع:

إنّ دور الشـفیع لا یعنی إبطال مولویـة المولی ولا إبطال عبودیـة العبد، ولا رفع الید عن الحکم المجعول، بل الشـفیع إمّا أن یتقدّم إلی المولی بصفات فی المولی سبحانه توجب العفو عن العبد والرأفة به: مثل السخاء والکرم والصفح و...

أو أنَّ الشـفیع یتقدّم إلی المولی بصفات فی العبد توجب رحمة المولی ورأفته به والتجاوز عنه: کالإعتقاد الحق، والصدق فی الاعتقاد، وطلب مرضاة المولی، وحبّه لأولیاء المولی وأحبائه، وسوء حال العبـد، ومسـکنته وذلّته، و.. أو بصـفاتٍ فی الشـفیع نفسه: مثل قربه من المولی،

ص: ۱۷

وعلوّ منزلته عنـده، و.. فكـأنَّ الشـفيع يقول: يـاربّ لا ـ أسألـك إبطال المولويـة ولا إبطال الحكم، ولا إبطال الجزاء، بل العفو. لأنَّ لك الكرم، أو لأنَّ العبدَ جاهل، أو لمنزلتى عندك.

فالشفاعة: حقيقتها التوسط فى إيصال نفع أو دفع شرٍّ بنحو الحكومة لا بنحو المضادّة.

يعنى: أنّ الشـفيع يذكر بعضَ العوامل المؤثِّرة فى رفع العقاب بأن يخرج المورد- الشخص- عن كونه مصداق العقوبة إلى مورد آخر- مصداق الرأفة.

ثم إنّ الشـفاعة كما أنّها تثبت لعـدّةٍ من عباده: من الملائكـة والناس من بعـد الإذن والارتضاء، كـذلك يمكن للعبد أن يتقدّم إلى اللّه برحمته، أو بِبذُلّ نفسه وحقارتها، فى التوبـة إلى اللّه والعمل الصالـح فيخرج نفسه عن كونه مصداقاً للمذنب المسيى إلى كونه مصداقاً للمحسن، وفى أمثال هذا العبد يقول تبارك وتعالى: فأولئك يبدِّل اللّه سـيّئاتهم حسـنات (۱) فله تعالى أن يبدِّل السيّئة حسنة كما أن يجعل رصيد الإنسان من الأعمال صِفراً: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً (۲)

الشفعاء:

الشفاعة نوعان: شفاعة تكوينية، والشفعاء فيها جملة الأسباب

۱– الفرقان: ۷۰.

۲– الفرقان: ۲۳.

ص: ۱۸

الکونیة بما هی وسائط بین اللَّه وبین الأشیاء.

وشفاعة تشریعیة، وهی الواقعة فی عالم التکلیف، ومنها ما یستدعی فی الدنیا مغفرة من اللَّه سبحانه أو قرباً أو زلفی، فهو شفیع متوسط بین اللَّه وبین عبده، ومنها:

۱- التوبة: کما قال تعالی: قل یا عبادی الذین أسرفوا علی أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إنَّ اللَّه یغفر الذنوب جمیعاً إنّه هو الغفور الرحیم وأنیبوا إلی ربّکم (۱) وتعمُّ جمیع المعاصی حتی الشرک.

۲- الایمان: یا أیُّها الذین آمنوا اتقوا اللَّه وءامِنوا برسوله یؤْتِکم کفلین من رحمته ویجعل لکم نوراً تمشون به ویغفر لکم واللَّه غفور رحیم (۲)

۳- العمل الصالح: وعد اللَّه الذین آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظیم (۳)

۴- القرآن: یهدی به‌اللَّه من‌اتبع رضوانه‌سبل السلام ویخرجهم من الظلمات إلی النور بإذنه ویهدیهم إلی صراط مستقیم (۴)

۵- الأنبیاء: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوک فاستغفروا اللَّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللَّه توّاباً رحیماً (۵)

۱- الزمر: ۵۴.

۲- الحدید: ۲۸.

۳- المائدة: ۹.

۴- المائدة: ۱۶.

۵- النساء: ۶۴.

ص: ۱۹

۶- الملائکهٔ: الذین یحملون العرش ومن حوله یسبِّحون بحمد ربّهم ویؤمنون به ویستغفرون للذین آمنوا (۱)

والملائکهٔ یسبِّحون بحمد ربّهم ویستغفرون لمن فی الأرض الا انّ اللَّه هو الغفور الرحیم (۲)

۷- المؤمنون: باستغفارهم لأنفسهم ولاخوانهم المؤمنین، قال تعالی حکایهٔ عنهم: واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولینا (۳)

ومنها: الشفیع یوم القیامهٔ: بالمعنی الذی ذکرناه وهو اخراج المذنب عن کونه مصداقاً للعقوبهٔ، إلی مورد کونه مصداقاً للرأفهٔ والرحمهٔ، وهم:

۱- الأنبیاء: وقالوااتخذ اللَّهولداً سبحانه بل عبادٌ مکرمون- إلی قوله تعالی: ولا یشفعون إلّالمن ارتضی (۴) فإن منهم عیسی وهو نبی.

۲- الملائکهٔ: قال تعالی: وکم من ملک فی السموات لا تغنی شفاعتهم شیئاً إلّامن بعد أن یأذن اللَّه لمن یشاء ویرضی (۵)

۳- الشهداء: ولا یملک الذین یدعون من دونه الشفاعهٔ إلّامن شهد بالحق وهم یعلمون (۶) وهی تدل علی أن تملکهم للشفاعهٔ

۱- مؤمن: ۷.

۲- الشوری: ۵.

۳- البقرهٔ: ۲۸۶.

۴- الأنبیاء: ۲۸.

۵- الزخرف: ۸۶.

۶- النجم: ۲۶.

ص: ۲۰

لشهادتهم بالحق، فكل شهيد فهو شفيع يملك الشهادة.

لكن المراد بالشهادة هنا: شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل فى المعركة.

۴- المؤمنون: ومن الآية السابقة يظهر أن المؤمنين أيضاً من الشفعاء، فإن اللَّه عزّوجلّ أخبر بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة، قال تعالى: والذين آمنوا باللَّه ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربّهم (۱)، (۲).

۱- الحديد: ۱۹.

۲- هذا وقد تعرّض العلّامة الطباطبائى لإشكالات سبعة على الشفاعة والجواب عنها وها نحن نذكر بعضها وباختصار:

۱- لو كان رفع العقاب عن المجرم عدلًا، فالعقاب ظلم. وإن كان ظلماً، فكيف يسأل الأنبياء، ما هو ظلم؟

والجواب: إنّ رفع العقاب ليس معناه: نقض الحكم الأول ونقضاً للعقوبة. بل بمعنى إخراج المجرم عن كونه مصداقاً للعقوبة بجعله مصداقاً لشمول الرحمة والرأفة.

۲- إن الشفاعة توجب التخلف والاختلاف ورفع العقاب بالشفاعة عن المجرمين فى جرائمهم موجب لنقض الغرض المحال، إذ سنّة اللَّه تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف، فما قضى وحُكم به يُجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء.

والجواب: يأبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها، فالحكم له سبب، ولعل هناك أسباب كثيرة أخرى تستدعى غير ما يقتضيه هذا السبب الواحد.

۳- إنّ الشفاعة المعروفة هى حمل المشفوع عنده على ترك ما أراد فعله، أو فعل ما أراد. فالشفاعة تصرّف فى إرادة الربّ وحكمه وهو محال.

والجواب: إنّ الشفاعة ليست من التغيّر فى الإرادة والعلم، بل فى المراد والمعلوم. فهو سبحانه يعلم ان الإنسان الفلانى سوف تجرى عليه حالات متعدّدة فيكون فى حين كذا على حال كذا، لاقتران أسباب وشرائط خاصة، فيريد فيه بارادة، ثم يكون فى حين آخر على حال آخر جديد، يخالف الأول لاقتران أسباب وشرائط اخر، فيريد فيه بإرادة أُخرى وكلّ يوم هو فى شأن و يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

۴- إنّ وعد الشفاعة، يستلزم تجرّى الناس على المعصية.

والجواب بالنقض أولًا: بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة فى غير مورد التوبة، بدليل استثنائه الشرك المغفور بالتوبة.

وثانياً بالحل الوعد بالشفاعة إنّما يستلزم تجرّى الناس على المعصية بشرطين:

الأوّل: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الذى تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الانجاز من غير تعليق بشرط جائز.

الثانى: تأثير الشفاعة فى جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

ومن المعلوم أن هذين الشرطين ليسا من الوعد بالشفاعة بشىء. تفسير الميزان ۱: ۱۶۸.هذا وقد تعرّض العلّامة الطباطبائى لإشكالات سبعة على الشفاعة والجواب عنها وها نحن نذكر بعضها وباختصار:

۱- لو كان رفع العقاب عن المجرم عدلًا، فالعقاب ظلم. وإن كان ظلماً، فكيف يسأل الأنبياء، ما هو ظلم؟

والجواب: إنّ رفع العقاب ليس معناه: نقض الحكم الأول ونقضاً للعقوبة. بل بمعنى إخراج المجرم عن كونه مصداقاً للعقوبة بجعله مصداقاً لشمول الرحمة والرأفة.

۲- إن الشفاعة توجب التخلف والاختلاف ورفع العقاب بالشفاعة عن المجرمين فى جرائمهم موجب لنقض الغرض المحال، إذ سنّة

اللَّه تعالى جرت على صون أفعاله من التخلف، فما قضى وحُكم به يُجريه على وتيرة واحدة من غير استثناء.

والجواب: يأبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها، فالحكم له سبب، ولعل هناك أسباب كثيرة أخرى تستدعى غير ما يقتضيه هذا السبب الواحد.

۳- إنّ الشفاعة المعروفة هى حمل المشفوع عنده على ترك ما أراد فعله، أو فعل ما أراد. فالشفاعة تصرّف فى إرادة الربّ وحكمه وهو محال.

والجواب: إنّ الشفاعة ليست من التغيّر فى الإرادة والعلم، بل فى المراد والمعلوم. فهو سبحانه يعلم ان الإنسان الفلانى سوف تجرى عليه حالات متعدّدة فيكون فى حين كذا على حال كذا، لاقتران أسباب وشرائط خاصة، فيريد فيه بارادة، ثم يكون فى حين آخر على حال آخر جديد، يخالف الأول لاقتران أسباب وشرائط اخر، فيريد فيه بإرادة أُخرى وكلّ يوم هو فى شأن و يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب.

۴- إنّ وعد الشفاعة، يستلزم تجرّى الناس على المعصية.

والجواب بالنقض أولًا: بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة فى غير مورد التوبة، بدليل استثنائه الشرك المغفور بالتوبة.

وثانياً بالحل الوعد بالشفاعة إنّما يستلزم تجرّى الناس على المعصية بشرطين:

الأوّل: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذنب الذى تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الانجاز من غير تعليق بشرط جائز.

الثانى: تأثير الشفاعة فى جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

ومن المعلوم أن هذين الشرطين ليسا من الوعد بالشفاعة بشىء. تفسير الميزان ۱: ۱۶۸.

ص: ٢١

تقرير آخر للجواب:

أوّلًا: إنّ معنى الشفاعة هو الطلب من المشفوع عنده، أمراً للمشفوع له. فشفاعة النبى صلى الله عليه و آله أو غيره، معناه: دعائه إلى اللَّه للغير، وطلبه من اللَّه غفران الذنب وقضاء الحوائج، فالشفاعة نوع من الدعاء.

فعن الرازى ذيل الآية الكريمة: ومن يشفع شفاعة حَسَنة يكن له نصيب منها (١) قال مقاتل: الشفاعة إلى اللَّه إنّما تكون بالدعاء. واحتج بما روى أبو الدرداء أن النبى صلى الله عليه و آله قال: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استُجيب له، وقال: المَلَك: له ولك مثل ذلك» (٢).

١- النساء: ٨٥.

٢- التفسير الكبير ١٠: ٢٠٧.

ص: ۲۲

اذن: طلب الشفاعة من الغیر، عبارة اخری عن طلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أی مؤمن کان، کما اعترف محمد ابن عبد الوهاب بجواز طلب الدعاء من الحیّ، بل جوازه یُعدّ من ضروریات الدین، وحینئذٍ فیجوز طلب الشفاعة (أی الدعاء) من کل مؤمن فضلًا عن الأنبیاء والصالحین وفضلًا عن سیّد المرسلین.

إن قلت: لابدّ وأن یکون للشفیع جاه عند المشفوع إلیه.

قلت: إنّ اللَّه جعل حرمة (۱) لکل مؤمن یرجی بها قبول شفاعته واستجابة دعائه. أضف إلی ذلک ثبوت الشفاعة- کما مرّ- لآحاد المؤمنین وللملائکة، وأنها لیست من خاصة الأنبیاء.

شفاعة الملائكة:

قال الرازی ذیل هذه الآیة: الذین یحملون العرش ومن حوله.. ویستغفرون للذین آمنوا ربّنا وسعتَ کلَّ شیءٍ رحمة وعلماً فاغفر للذین تابوا واتبعوا سبیلک وقِهِم عذاب الجحیم. ربّنا وادخلهم جنات عدنٍ التی وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذریّاتهم.. وقِهِم السیّئات (۲).

قال: هذه الآیة تدل علی حصول الشفاعة من الملائکة

۱- عن الأسلمی عن النبی صلی الله علیه و آله وهو یخاطب الکعبة: ما أعظمک وأعظم حُرمتک، والمؤمن أعظم حُرمة عند اللَّه منکِ. سنن الترمذی ۴: ۳۷۸ ب ۸۵ ح ۲۰۳۲.

۲- غافر: ۷- ۹.

ص: ۲۳

للمذنبين» (۱).

كما وقعت الشفاعة من النبى صلى الله عليه و آله وغيره من الأنبياء عليهم السلام وأمره اللّه بها. فقال: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (۲).

وحكى عن نوح أنّه قال: ربِّ اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات (۳).

والنتيجة: ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء، وطلب المغفرة.

شفاعة الحجر الأسود:

عن على عليه السلام: أشهدوا هذا الحجر خيراً فانّه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه (۴)

رواه أبو نعيم فى مسلسلاته وقال: صحيح ثابت عن على عليه السلام.

قال العزيزى فى الشرح: أشهدوا أى اجعلوا الحجر الأسود شهيداً لكم على خير تفعلونه عنده كتقبيل واستلام أو دعاء. أوذكرعنده وقوله: فانّه شافع: أى فيمن أشهده خيراً، متشفّع: أى مقبول الشفاعة (۵)

إذن: الإشهاد هنا بمعنى طلب الشفاعة منه، مع أنّه جماد لا يعقل ولا ينطق، وقد أُمرنا بإشهاده ولم يكن ذلك شركاً. وإلّا- لو كان

۱- التفسير الكبير ۲۷: ۳۲.

۲- محمد: ۱۹.

۳- نوح: ۲۸.

۴- كنز العمال ۱۲: ۲۱۷ ح ۳۴۷۳۹- جامع الصغير للسيوطى: ۲۲۵.

۵- فيض القدير ۱: ۵۲۷.

ص: ۲۴

شرکاً- لم یغیّره الأمر، لأن الحکم لا یغیّر الموضوع.

فالشفاعهٔ والدعاء من مقولهٔ واحدهٔ، ولیس حتماً علی اللّه قبول الشفاعهٔ ولا إجابهٔ الدعاء، وانّما ذلک من ألطافه وتفضّله.

شفاعهٔ الأموات:

فعن ابن تیمیهٔ: انّها بدعهٔ، وعن ابن عبد الوهاب والصنعانی: کفر وشرک. قال ابن تیمیهٔ: «أمّا المیّت من الأنبیاء والصالحین وغیرهم، فلم یشرع لنا أن نقول: ادع لنا ولا: إسأل لنا ربّک، ولم یَنقل هذا أحدٌ من الصحابهٔ والتابعین ولا أمَرَ به أحدٌ من الأئمهٔ ولا ورد فیه حدیث».

والجواب: أوّلًا: إن کان منع- وحرمهٔ طلب الشفاعهٔ من الأموات- إنّما هو لأجل تعذر خطاب المعدوم علی فرض أن المیّت معدوم! فنقول: إنَّ النبیّ صلی الله علیه و آله- وسائر الأنبیاء علیهم السلام أحیاء بعد الموت- وإنّه یسمع الکلام ویَردّ الجواب ویبلغه صلاهٔ وتسلیم من یصلّی ویسلِّم علیه، وإنَّ علمه بعد وفاته کعلمه فی حیاته، وإن أعمال امّته تعرض علیه وانّه یستغفر لُامّته (۱) وهذا ما صرّح به العلماء والمتکلّمون وسیجیء البحث عنه، وهذا ما لا یمکن لأحد انکاره.

حیاهٔ النبی صلی الله علیه و آله بعد الموت:

ان هذا هو المتفق علیه عند محققی المتکلّمین وغیرهم. قال

۱- انظر محاسبهٔ النفس، الباب الثالث: ۱۸ وکشف الارتیاب: ۲۱۷.

ص: ۲۵

السمهودی (۱): «لاشک فی حیاته بعد وفاته، وکذا سائر الأنبیاء علیهم الصلاهٔ والسلام أحیاء فی قبورهم، حیاهٔ أکمل من حیاهٔ الشهداء التی أخبر اللَّه تعالی بها فی کتابه العزیز، ونبیّنا صلی الله علیه و آله سیّد الشهداء، وأعمال الشهداء فی میزانه، وقد قال صلی الله علیه و آله: علمی بعد وفاتی کعلمی فی حیاتی، رواه الحافظ المنذری.

وروی ابن عدی فی کامله: عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «الأنبیاء أحیاء فی قبورهم یصَّلون» رواه أبو یعلی برجال ثقات ورواه البیهقی وصححه» (۲).

وقال البیهقی: ولحیاهٔ الأنبیاء- صلوات اللَّه وسلامه علیهم- بعد موتهم شواهد من الأحادیث الصحیحهٔ، ثم ذکر حدیث- مررتُ بموسی وهو قائم یصلّی فی قبره، وغیره من أحادیث لقاء النبی بالأنبیاء وصلاته بهم.

وروی ابن ماجه بِإسناد جیّد- کما قال المنذری- عن أبی

۱- نور الدین علی بن أحمد ویعرف بالسمهودی نزیل المدینهٔ المنورهٔ، وعالمها ومفتیهاومدرسّ ِها ومؤرّخها الشافعی الإمام القدوهٔ الحجهٔ، ولد فی صفر ۸۴۴ ه، وانتفع به جماعهٔ الطلبهٔ فی الحرمین، وألَّف عدّهٔ تآلیف...

قال السخاوی: قلَّ أن یکون أحدٌ من أهلها لم یقرأ علیه، وبالجملهٔ فهو إمام مفنن متمیّز فی الأصلین والفقه، مدیمُ العلم والجمع والتآلیف متوجّه للعبادهٔ والمباحثهٔ والمناظرهٔ، قویّ الجلادهٔ طلق العبارهٔ مع قوّهٔ یقین، وعلی کل حال فهو فرید فی مجموعه. توفی عام ۹۱۱ ه.

انظر شذرات الذهب ۸: ۵۱ لابن عماد الحنبلی. والضوء اللامع ۵: ۲۴۵ لمحمد بن عبدالرحمن السخاوی.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۹.

ص: ۲۶

الدرداء، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله اكثروا الصلاهٔ علیَّ یوم الجمعهٔ، فإنّه مشهودٌ تشهده الملائکهٔ، وإن أحدٌ یصلّی علیَّ إلّاعرضت علیَّ صلاته حین یفرغ منها.

قال: قلت وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إنّ اللَّه حرّم علی الأرض أن تأکل أجساد الأنبیاء علیهم الصلاهٔ والسلام. فنبیّ اللَّه حیّ یرزق.

روی البزار برجال الصحیح عن ابن مسعود عن النبی صلى الله عليه و آله إنّ للَّه ملائکهٔ سیاحین یبلغونی عن امّتی وقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: حیاتی خیرٌ لکم تحدثون ویحدث لکم، ووفاتی خیرٌ لکم تعرض علیَّ أعمالکم فما رأیت من خیر حمدتُ اللَّه علیه، وما رأیتُ من شرٍّ استغفرت اللَّه لکم.

قال أبو منصور البغدادی: قال المتکلّمون المحقّقون من أصحابنا:

إنّ نبیّنا محمّداً صلى الله عليه و آله حیٌّ بعد وفاته، یُسِّرُ بطاعات امّته، وإنّ الأنبیاء صلوات اللَّه علیهم لایبلون.

وقال البیهقی فی کتاب الاعتقاد: الأنبیاء علیهم الصلاهٔ والسلام بعدما قبضوا رُدَّت إلیهم أرواحهم فهم أحیاء (۱) عند ربّهم کالشهداء. وقد رأی نبیّنا لیلهٔ المعراج جماعهٔ منهم، قال وقد أفردنا لإثبات حیاتهم کتاباً.

وأضاف السمهودی: قلت ویؤیّد ذلک حدیث: إنّ عیسی بن مریم

۱- عن النبی صلى الله عليه و آله: «مررت بموسی وهو یصلّی فی قبره» وقبره بمدین بین المدینهٔ وبین بیت‌المقدس- سیر أعلام النبلاء ۱۶: ۹۹- صحیح مسلم ج ۲ ص ۲۳۷۵، سنن النسائی ۳: ۲۱۶- مسند أحمد ۳: ۱۴۸- ابن حبان.

ص: ۲۷

مار بالمدينة حاجّاً أو معتمراً، وإن سلّم عليّ لأَردنَّ عليه..

وأمّا أدلّة حياة الأنبياء، فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء، ومع قوّة النفوذ فى العالم. وقد أوضحنا المسألة فى كتابنا المسمّى ب «الوفاء لما يجب لحضرة المصطفى» (۱).

وقال القسطلانى: «ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة، ونبينا أفضلهم، وإذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته اكمل واتم من حياة سائرهم»(۲).

اذن بعد هذه التصريحات من العلماء والمحققين، وبعد هذه الروايات الصحيحة الواردة فى كتب السنة هل يبقى مجال لقول ابن تيمية ومن تبعه؟ وهل يمكن القول بأن الشفاعة وطلب الدعاء من النبى والصالحين يكون بدعة أو كفراً أو شركاً؟ فلا يبقى إلّاالقول: بأن الواجب عليهم إعادة النظر فيما قالوه، والتتبع ومراجعة الأحاديث وكلمات المحقّقين لكى يعرف بُعْدُ هذه الأقاويل عن الحقل العلمى ومجال التحقيق. وإن دلّت هذه الآراء على شىء لدلَّت على قلّة معلوماتهم بأُصولهم ومبانيهم.

رأى العلماء فى الحياة بعد الموت:

۱- قال الفقيه أبو بكر العربى (فى الأمد الأقصى فى تفسير الأسماء

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۹.

۲- المواهب اللدنية ۳: ۴۱۳.

ص: ۲۸

الحسنی): إنّ إحیاء المکلّفین فی القبر وسؤالهم جمیعاً لا خلاف فیه بین أهل السنّة (۱).

۲- وقال سیف الدین الآمدی فی کتاب «أبکار الأفکار»: إتفق سلف الامّة، قبل ظهور المخالف وأکثرهم بعد ظهوره علی إثبات إحیاء الموتی فی قبورهم (۲).

۳- وقال السُبکی: «وقد أجمع أهل السنّة علی إثبات الحیاة فی القبور، قال إمام الحرمین فی الشامل: اتفق سلف الامّة علی إثبات عذاب القبر وإحیاء الموتی فی قبورهم وردّ الأرواح فی أجسادهم..

أضاف السبکی بعد نقل هذه الأقوال: وقد تلخّص من هذا: أنَّ الروح تعاد إلی الجسد ویحیی وقت المسألة وإنه ینعم أو یعذّب من ذلک الوقت إلی یوم البعث (۳).

۴- وقال ابن تیمیة فی کتاب: «اقتضاء الصراط المستقیم إن الشهداء، بل کل المؤمنین إذا زارهم المسلم، وسلَّم علیهم عرفوا به، وردّوا علیه السلام، قال السمهودی: فإذا کان هذا فی آحاد المؤمنین فکیف بسیّد المرسلین» (۴).

۵- عن الغزالی: کان محمد بن واسع یزور یوم الجمعة فقیل له: لو أخّرت إلی یوم الاثنین؟ فقال: بلغنی أن الموتی یعلمون بزوّارهم یوم

۱- شفاء السقام: ۲۰۴.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۱.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۲.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۱.

ص: ۲۹

الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده» (۱).

- قال الشيخ منصور حول الحياة بعد الموت:

فأنه أورد حديثا عن ابن عباس: مرّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بقبور المدينة، فأقبَلَ عليهم بوجهه فقال: السلام عليكم ياأهل القبور يغفر اللّه لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر. رواه الترمذى بسند حسن.

وقال فى الشرح: فيندب لزائر القبور: السلام عليكم أولًا، والدعاء له ولهم ثانياً ويتأكّد الاخلاص فانّه مفتاح القبول. وطلب السلام على الموتى يفيد انّهم يشعرون ويدركون، فإن الموت ليس عدماً محضاً بل هو انتقال من دار إلى دار، يفنى الجسم وتبقى الروح كاملة الإحساس فى عذاب أو نعيم إلى يوم يبعثون (۲).

وقال فى شرح قوله عليه السلام «إلّا ردَّ اللّه علىَّ روحى» قال: أى نطقى وإفاقتى من استغراقى فى أحوال الملكوت، وإلّا فالأنبياء أحياء فى قبورهم كما تقدم فى باب الجمعة (۳).

وقال فى باب الجمعة بعد حديث أوس بن أوس عن النبى صلى الله عليه و آله إن من أفضل أيامكم الجمعة فيه خُلِقَ آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة. فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه، فانّ صلاتكم معروضة علىّ، قالوا: يارسول اللّه وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْتَ (رميماً) فقال: إنّ اللّه حرّم على الأرض أجساد الأنبياء.

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۲.

۲- التاج الجامع للاصول ۱: ۳۸۱.

۳- التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۱.

ص: ۳۰

رواه أبو داود والنسائی بسند صحیح.

قال فی الشرح: بأمر اللَّه تعالی فیسمعها فینسرّ بها، لأنّه فی قبره حیّ ویفرح بصلاهٔ المصلّین علیه ففیها رفع درجات له ولهم.. وامّا فی غیر یوم الجمعهٔ فإِن الصلاهٔ علیه تبلغه علی لسان ملائکهٔ مخصوصین بهذا، کما تبلغه أعمال الامّهٔ فی یوم الخمیس بواسطهٔ ملائکهٔ لهذا (۱).

وعبداللَّه بن أبی أوفی عن النبی صلی الله علیه و آله: أکثروا الصلاهٔ علیَّ یوم الجمعهٔ، فإِنی أُبلَّغ واستمع. رواه الشافعی وابن ماجهٔ (۲).

استفهام:

هنا سؤال یطرح نفسه وهو أن الحدیث النبوی: إلّاردّ اللَّه علیّ روحی (۳) حتی اردّ علیه» دال علی عدم استمرار الحیاهٔ.

والجواب:

۱- یحتمل أن یکون ردّاً معنویاً وأن یکون روحه الشریفهٔ مشتغلهٔ بشهود الحضرهٔ، والملأ الأعلی عن هذا العالم. فإذا سلّم علیه أقبلت روحه علی هذا العالم لتدارک السلام وتردّ علی المسلِّم، یعنی إنَّ ردّ روحه الشریفهٔ التفاتُ روحانی وتنزل إلی دوائر البشریهٔ من الاستغراق فی الحضرهٔ العلیهٔ- کما قال السُبکی.

۱- التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۲.

۲- المصدر السابق.

۳- قال الشیخ منصور: أی نطقی وإفاقتی من إستغراقی فی أحوال الملکوت وإلّا فالأنبیاء أحیاء فی قبورهم. «التاج الجامع للاصول ۱: ۲۹۰».

ص: ۳۱

۲- ویحتمل أن یکون الخطاب علی مقدار فهم المخاطبین فی الخارج من الدنیا انّه لابدّ من عود روحه حتی یسمع ویجیب فکأنه قال: أنا اجیب ذلک تمام الإجابة، واسمعه تمام السماع، مع دلالته علی ردّ الروح عند سلام أوّل مسلِّم، وقبضها بعد لم یرد ولا قائل بتکرّر ذلک إلی توالی موتات لا تُحصی.

مع انّا نعتقد ثبوت الأدراکات کالعلم والسماع لسائر الموتی، فضلًا عن الأنبیاء ویقطع بعود الحیاة لکل میّت فی قبره کما ثبت فی السنّة، ولم یثبت انّه یموت بعد ذلک موتة ثانیة بل ثبت نعیم القبر وعذابه وإدراک ذلک من الاعراض المشروط بالحیاة لکن یکفی فیه حیاة جزء یقع به الإدراک فلا یتوقف علی البینة کما زعم المعتزلة» (۱).

إذن: الجواب الأوّل علی کلام ابن تیمیة- فی عدم جواز طلب الشفاعة من الأنبیاء- هو انّهم أحیاء فی قبورهم فلم یکن طلب الشفاعة من المیّت.

والجواب الثانی: إنّ الشهداء أحیاء بنصّ القرآن الکریم بل أحیاء عند ربهم (۲) ولاشک فی أن درجة النبوّة أعظم من درجة الشهادة والشهداء، وأن مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء (۳). فإذا

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۵.

۲- آل عمران: ۱۶۹.

۳- کنز العمال ۱۰: ۱۴۱ رقم الحدیث ۲۸۷۱۵- بحار الأنوار ۲: ۱۴ عن أمالی الصدوق.

ونص الحدیث فی الکنز: یوزن یوم القیامة مداد العلماء، ودم الشهداء، فیرجّح علیهم مداد العلماء علی دم الشهداء.

ص: ۳۲

کـان القتیـل فی سبیل اللَّه حی، فالنبی صـلی الله علیه و آله کـذلک حیّ قطعاً. وقـد صـرّح بـذلک البیهقی فی کتاب الاعتقاد: «الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا رُدّت إلیهم أرواحهم فهم أحیاء عند ربّهم کالشهداء» (۱).

الجواب الثالث: لو فرضـنا ان المیّت لا یسمع الکلام ولا یقدر علی الدعاء، لکن طلب الدعاء منه لا یوجب محذوراً ولا یوجب کفراً إذ یکون هذا مثل أن یطلب القراءة من الأعمی بظنّه بصیراً.

الجواب الرابع: إنّ فعل السـلف من الصـحابة وغیرهم فی الاستشـفاع والاستغاثة وطلب الدعاء من النبی صلی الله علیه و آله بعد وفاته- وحتی من غیر النبی صلی الله علیه و آله من الصالحین- یدل علی مشروعیته وجوازه وسنورد الأمثلة علی ذلک.

الجواب الخـامس: إن الروح باقیـة- بعـد الموت- غیر فانیـة ویمکنها السؤال والـدعاء. وقـد اسـتدل الفخر الرازی فی تفسیره ذیل الآیة الکریمة: قل الروح من أمر ربی (۲) استدل علی بقاء الأرواح بعد موت الأجسام بسبعة عشر دلیل منه:

۱- قوله علیه السلام فی خطبة طویلة: حتی إذا حمل المیت علی نعشه رفرف روحه فوق النعش ویقول: یا أهلی ویاولدی لا تلعبن بکم الدنیا کما لعبت بی...» فهذا تصریح بأن فی الوقت الذی کان الجسد میّتاً محمولًا کان ذلک الإنسان حیّاً باقیاً فاهماً...

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۵.

۲- الإسراء: ۸۵.

ص: ۳۳

۲- قوله تعالى: يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعى... (۱) دلّ على أن الشىء الذى يرجع إلى اللّه بعد موت الجسد يكون حيّاً راضياً عن اللّه ويكون اللّه عنه راضياً، والذى يكون راضياً ليس إلّاالإنسان فهذا يدل على ان الإنسان بقى حيّاً بعد موت الجسد...

۳- قوله عليه السلام: «أنبياء اللّه لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار» و «من مات فقد قامت قيامته» وقوله: «القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران...» كل هذه النصوص تدل على ان الإنسان يبقى حيّاً بعد موت الجسد..

۴- قوله تعالى: حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون ثم ردوا إلى اللّه مولاهم الحق (۲) أثبت كونهم مردودين إلى اللّه الذى هو مولاهم حال كون الجسد ميّتاً، فوجب أن يكون ذلك المردود إلى اللّه مغايراً لذلك الجسد الميّت.

۵- نرى جميع فِرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زياراتهم، ولولا أنّهم بعد موت الجسد أحياء لكان التصدّق عنهم عبثاً، والدعاء لهم عبثاً، ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً، فالإِطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شىء غير

۱- الفجر: ۲۷.

۲- الانعام: ۶۱.

ص: ۳۴

هذا الجسد وان ذلك الشىء لايموت، بل الذى يموت هذا الجسد» (۱).

والحاصل: إن الفطرة السليمة تشهد بحيات الروح بعد الموت والآيات الكريمة والسنّة الشريفة كذلك يشهدان على بقاء الروح.

وعليه: ما المانع وما المحذور من طلب الدعاء والشفاعة من الأرواح الطيبة التى هى احياء بشهادة الكتاب والسنّة وبشهادة الفطرة السليمة؟ وهل هذا يوجب البدعة والكفر، والشرك، أو ينشأ عن عدم الرجوع إلى الفطرة وعدم التدبّر فى النصوص؟

رأى السُبكى فى بقاء الروح:

سُئِل السبكى عن الأرواح هل تفنى كما تفنى الأجسام؟

فأجاب: امّا الأرواح فالسؤال عنها إمّا على مذهب الحكماء وامّا على مذهب المتشرّعين:... وامّا المشرّعون فقد اطبقوا على انّها باقية بعد مفارقة البدن، فإن ذلك ممكن. وقد دلّت الشرائع على وقوعه ولا أعلم بين الشرائع خلافاً فى ذلك إلّاأن الإمام فخر الدين قال: فى العالم هذه الاعتبارات العقلية إذا انضمّت إلى أقوال جمهور الأنبياء والحكماء أفادت الجزم ببقاء النفس. فقوله: جمهور الأنبياء يوهم عدم اجتماعهم على ذلك. وهذا الإيهام غير معمول عليه ولا أظنُّه أراده فى أوّل كلامه انّهم أطبقوا على بقائها.

فهذا ما يجب اعتقاده واستقر الشرائع والكتب المنزلة وآيات

۱- التفسير الكبير ۲۱: ۴۱.

ص: ۳۵

القرآن والأخبـار المتكـاثرة التى لايمكن تأويلها ويقطع بالمراد منها ما يـدل على بقاء النفوس بعـد مفارقـة البـدن ولا يشك فى ذلك أحـد من أهـل الإسـلام لا ـ عـالم ولا عامى، بل زادوا على ذلك وادعوا إطلاق القول بحياة جميع الموتى ونقل جماعـة من المتقـدّمين الإجمـاع على ذلـك وقالوا فى قوله تعالى: ولا تقولوا لمن يقتل (۱) إن هـذا ليس خاصّاً بمن يُقتل فى سبيل اللّه وانّما قصـد بالآية الرد على الكفّار القائلين بعدم البعث وان بالموت يفنى الإنسان بالكلية ولا يبقى له أثر من إحساس ونحوه.

فردَّ اللّه عليهم، ولكن حيـاة الموتى مختلفـة فحيـاة الشـهيد أعظم وحيـاة المؤمن الـذى ليس بشـهيد دونه وحيـاة الكـافر لمـا يحصل له العـذاب دونه والكـل مشتركون فى الحيـاة ومنهم من يبلى جسـده، ومنهم لا ـ يبلى، والأـرواح كلّهـا باقيـة. هـذا دين الإسـلام. ولو تتبع الإنسـان آيـات القرآن وأحاديث النبى صـلى الله عليه و آله الدالّـة على ذلك لبلغت مبلغاً عظيماً ولا حاجـة إلى التطويل فى ذلك فانّه معلوم من دين الإسلام بالضرورة» (۲).

وعليه فما حجّة الوهابية فى التهجّم والتكفير لمن توسّل واستشفع بهذه الأرواح، أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين مع أن الأرواح باقية بضرورة دين الإسلام، بشهادة الروايات الكريمة والأحاديث الشريفة.

لعل حجّتهم، جهلهم وعدم تدبّرهم فى الآيات والنصوص والجاهل معذور إن كان قاصراً لا مقصّراً.

الجواب السادس: إن الاعتقاد بأن الميّت يسمع، أو لا يسمع لا

۱- البقرة: ۱۵۴.

۲- فتاوى السُبكى ۲: ۶۳۶.

ص: ۳۶

يكون من أصول الـدين ولاـ من أركـانه، وليس من الواجبات بحيث لو التزم أحـد بخلافه يكون مبتـدعاً. وعليه فمن اعتقـد به: فهو امّا مصـيب مأجور، أو مخطئ معـذور كما ورد فى كتب الصـحاح والسـنن (۱). فلاـ يوجب اعتقـاده شـركاً ولا إثماً كيف والفخر الرازى المفسِّر الكـبير (۲) يعتقـد بـأن الروح باقيـة والـدعاء والزيـارة والنـذر والتصـدّق للميّت إنّمـا هو بلحاظ هـذه الجهـة، فهل ينسب الكفر والشرك والبدعة إليه!!؟

كما ان المفسّرين قالوا فى ذيل الآية الكريمة: اليوم ننجيك ببدنك (۳) بأنّها كالصريح أو هو صريح فى أن النفوس وراء الأبدان (۴).

من الروايات فى الشفاعة:

۱- عن أنس: سألتُ النبى أن يشفع لى يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك؟ قال: على الصراط (۵).

۲- أتى سواد بن قارب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وطلب منه الشفاعة فى

۱- صحيح البخارى ۹: ۱۹۳ كتاب الاعتصام- صحيح مسلم ۵: ۱۳۱- كتاب الأقضية.

هـذا: وكتبنا خاليـة عن هـذا النص، ممّا يدل على عدم اعتباره عندنا- سـنداً- أضف إلى أن سـنده أيضاً مخدوش- على بعض الطرق- على مبناهم إذ فى طريقه مولى عمرو بن العاص وهو مجهول وفى الطرق الاخرى إرسال. انظر عمدة القارى ۲۵: ۶۷.

۲- هو أبو عبـداللّه محمـد بن عمر بن الحسـين بن الحسن التيمى الطبرى الأصـل الرازى المولـد، الأشـعرى الأـصول، الشافعى الفروع، المعروف بالإمام فخر الدين والملقب بابن الخطيب ..» الكنى والألقاب ۳: ۱۳.

۳- يونس: ۶۲.

۴- انظر تفسير الميزان ۱۰: ۱۲۱.

۵- الجامع الصحيح ۴: ۶۲۱ ح ۲۴۳۳.

ص: ۳۷

أبيات:

فكن لی شفیعاً یوم لا ذو شفاعهٔ سواک بمغنٍ عن سواد بن قارب

(۱)

طلب الشفاعهٔ فی سیرهٔ الصحابهٔ:

۱- عن ابن عباس لما فرغ علی علیه السلام من تغسیل النبی صلی الله علیه و آله قال:

بأبی أنت وامّی.. طبتَ حیّاً وطبتَ میّتاً.. اذکرنا عند ربّک (۲).

۲- کشف أبو بکر عن وجه النبی صلی الله علیه و آله وقبّله وقال مثله (۳).

۳- إن الناس أصابهم القحط فی خلافهٔ عمر بن الخطاب، فجاء بلال بن الحارث- وکان من أصحاب النبی صلی الله علیه و آله- إلی قبر النبی صلی الله علیه و آله وقال: یارسول اللّه صلی الله علیه و آله استسق لُامّتک، فأنّهم قد هلکوا فأتاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی المنام وأخبره أنّهم سیسقون (۴).

إذن فالاستسقاء منه وهو فی البرزخ، ودعاؤه لربّه فی هذه الحالهٔ غیر ممتنع، وکذلک علم النبی صلی الله علیه و آله- وهو فی البرزخ- بسؤال من یسأله فلا مانع من استسقاءه، وغیر ذلک کما کانوا یسألونه فی الدنیا، فلا یکون بدعهٔ ولا شرکاً ولا کفراً.

فإن قلت: إنَّ الاستشفاع بالمیّت ممنوع من حیث توهّم عبادته.

۱- الدرر السنیهٔ: ۲۹، کشف الارتیاب ۲۶۳، الاصابهٔ ۲: ۹۶، انظر اسد الغابهٔ ۳: ۳۷۵.

۲- امالی المفید: ۱۰۵ وعنه البحار ۲۲: ۵۲۷.

۳- انظر کشف الارتیاب: ۲۶۵ نقلًا عن خلاصهٔ الکلام لزینی دحلان.

۴- فتح الباری ۲: ۳۹۸، انظر السنن الکبری ۳: ۳۵۱، ووفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۴.

ص: ۳۸

قلت: إن الاستشفاع بالحیّ والطلب منه کذلک فیه شبهة العبادة له، فما هو الدافع لهذه الشبهة؟

إذن بعد هذه الأدلّة والنصوص والشواهد لا یبقی مجال لمزاعم الوهابیة بحرمة طلب الشفاعة من المیّت.

ومن الغریب دعواهم عدم ورود ذلک من أی صحابی وتابعی.

نعم: إنّ أمثال هذه الفتاوی تدل علی عدم اطلاع قائلها بمصادر التشریع، ولا بفعل الصحابة، وتدل علی أنها قول بغیر علم.

ص: ۳۹

الفصل الثانی: التبرّک بالقبور

اشارة

التبرّک بالقبور

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- تبرّک الصحابة بالقبور

۴- رأی الفقهاء السنّة فی التبرّک

۵- روایة فی تقبیل القبر

۶- التبرّک بالآثار

۷- رأی الفقهاء فی ذلک

۸- الاستشفاء بتراب المدینة

۹- التبرّک بآثار النبی صلی الله علیه و آله

۱۰- قبور وجنائز یتبرّک بها

ص: ۴۰

ص: ۴۱

یری ابن تیمیة وأتباعه حرمة التبرّک والتمرّغ بالقبور الشریفة وتقبیلها، وکفّروا المسلمین ورموهم بالشرک وسمّوهم القبوریین وعبّاد القبور، وانّه کفعل الجاهلیة بالأصنام والأوثان و...

والجواب:

أوّلًا: حتی ولو لم ینص الشرع علی جوازه، لکنّه راجح شرعاً لأنه من تعظیم الشعائر. أمّا قبور غیر الأنبیاء فسیأتی البحث عنها، وامّا قبور الأنبیاء فلأن لهم حرمة وشأناً ولا تزول حرمتهم بالموت.

قال الإمام مالک للمنصور: حرمة النبی میّتاً کحرمته حیّاً (۱).

فالنبی صلی الله علیه و آله والصلحاء لا تزول حرمتهم بالموت.

ثانیاً: إذا کان التعظیم یُعَدُّ عبادة وهو حرام واحترام القبور وتقبیلها تُعدُ عبادة وهی شرک لکان تعظیم الکعبة والطواف بها شرکاً

۱- انظر کشف الارتیاب: ۳۴۳.

ص: ۴۲

وکذلک تعظیم الحجر الأسود وتقبیله، والحجر ومقام ابراهیم، والمساجد والمشاعر، وتعظیم الأبوین وخفض جناح الذّل لهما، وسجود الملائکة لآدم وسجود إخوة یوسف وأبویه له، وتعظیم الجنود لُامرائهم، وتعظیم الصحابة للنبی صلی الله علیه و آله والخلفاء للأنبیاء، وتعظیم الوهابیین لُامرائهم.

ثالثاً: إن فعل الصحابة والصلحاء أیضاً یخالف رأی الوهابیة بحرمة مسّ القبر وتقبیله والتمرّغ به والتبرّک بترابه.

۱- تبرّک الزهراء علیها السلام بتراب القبر:

عن علی علیه السلام لما رمس رسول اللّه صلی الله علیه و آله جاءت فاطمة فوقفت علی قبره صلی الله علیه و آله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت علی عینها وبکت وأنشأت تقول:

ماذا علی من شمَّ تربة أحمد أن لا یشُمَّ مدی الزمان غوالیا

صُبَّتْ علیَّ مصائبٌ لو أنّها صُبَّت علی الأیّام صِرنَ لیالیا

(۱) ۲- تبرّک أبو أیوب الأنصاری بقبر النبی صلی الله علیه و آله

عن داود بن أبی صالح، أقبل مروان یوماً فوجد رجلًا واضعاً

۱- إرشاد الساری ۳: ۳۵۲، الاتحاف للشبراوی: ۹۰، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴، مشارق الأنوار: ۶۳، الفتاوی الفقهیة لابن حجر ۲: ۱۸، السیرة النبویة ۲: ۳۴۰، کشف الارتیاب: ۳۴۷، المواهب اللَّدنیة ۳: ۴۰۰.

ص: ۴۳

وجهه علی القبر فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدری ما تصنع؟

فأقبل علیه، فإذا به أبو أیوب الأنصاری، فقال: نعم انی لم آت الحجر إنما جئت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولم آت الحجر. سمعت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول: لا تبکوا علی الدین إذا ولیه أهله، ولکن إبکوا علی الدین إذا ولیه غیر أهله» (۱).

أقول: وقد صحّحه الحاکم فی مستدرکه وکذلک الذهبی.

قال السبکی: فإن صح هذا الاسناد لم یکره مس جدار القبر» (۲).

قال الأمینی: إنّ هذا الحدیث یعطینا خبراً بأن المنع من التوسل بالقبور الطاهرة انّما هو من بدع الأمویین (۳).

۳- تبرّک بلال بقبر النبی صلی الله علیه و آله

إن بلالًا رأی النبی صلی الله علیه و آله فی منامه وهو یقول: ما هذه الجفوة یا بلال؟ أما آن لک أن تزورنی؟ فانتبه حزیناً، ورکب راحلته، وقصد المدینة فأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله فجعل یبکی عنده ویُمَرِّغ علیه...» (۴).

۴- تبرک ابن عمر:

عن ابن حملة: إن عبداللَّه بن عمر کان یضع یده الیمنی علی القبر الشریف، وان بلالًا وضع خدّه علیه أیضاً (۵).

۱- مستدرک الحاکم ۴: ۵۶۰ الرقم ۸۵۷۱. وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴.

۲- انظر وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۴، کشف الارتیاب: ۳۴۷.

۳- الغدیر ۵: ۱۵۱.

۴- سیر أعلام النبلاء ۱: ۳۵۸، اسد الغابة ۱: ۲۰۸، شفاء السقام: ۳۹.

۵- کشف‌الارتیاب: ۴۳۶، عن الخطیب ابن حمله، شرح الشفاء ۲: ۱۹۹، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۵.

ص: ۴۴

۵- تبرّک ابن المنکدر (۱) (التابعی)

کان یجلس مع أصحابه وکان یصیبه الصمات (۲) فکان یقوم کما هو، یضع خدّه علی قبر النبی صلی الله علیه و آله ثم یرجع، فعوتب فی ذلک، فقال: إنّه لیصیبنی خطره، فإذا وجدت ذلک استشفیتُ بقبر النبی صلی الله علیه و آله (۳).

وعن الذهبی: «استعنتُ بقبر النبی» (۴).

رأی فقهاء السنّة فی التبرّک والتمسّح:

۱- فتوی ابن حنبل: قال ابن جماعة الشافعی: «لعبد اللَّه بن أحمد ابن حنبل عن أبیه روایة قال عبداللَّه: سألت أبی عن الرجل یمسّ منبر رسول اللَّه ویتبرّک بمسّه ویقبّله، ویفعل بالقبر مثل ذلک رجاء ثواب اللَّه تعالی؟ قال: لابأس به» (۵).

۱- قال الذهبی: الإمام الحافظ القدوة، شیخ الاسلام ولد سنة بضع وثلاثین وحدّث عن النبی صلی الله علیه و آله وعن سلیمان، وأبی رافع و.. روی عنه الصحاح الستة. وثّقه ابن معین وأبو حاتم..، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۲.

۲- قال ابن منظور: الصمات: اعتقال اللسان أو السکوت الطویل. لسان العرب ۲: ۵۵ مادةصمت.

۳- وفاء الوفاء ۲: ۴۴۴، انظر الغدیر ۵: ۱۵۱.

۴- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳.

والملفت للانتباه والمثیر للأسف هو أنَّ مخرجی کتاب سیر أعلام النبلاء والمعلّقین علیه، تأثّروا بتیّار الفکر الوهابی، فتراهم إذا وصلوا إلی هذا النمط من الروایات یسارعون بلا رویة إلی طعنها: إما بضعف السند وإما بالمخالفة لما یتوهمونه أنه العقیدة الإسلامیة، ولیس هو إلّاالفکرة الوهابیة.

۵- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۱۴.

ص: ۴۵

۲- وعن ابن العُلا: ان الامام أحمد سُئل عن تقبیل قبر النبی صلی الله علیه و آله وتقبیل منبره، فقال: لابأس بذلک.

قال: فأریناه ابن تیمیهٔ، فصار یتعجّب من ذلک القول، ویقول:

عجبتُ من أحمد، عندی جلیل! هذا کلامه!! (۱) ونحن أیضاً نعجب من موقف ابن تیمیهٔ تجاه أحمد بن حنبل إذ لم یرمه بالشرک والبدعهٔ والکفر!!

۳- فتوی الرملی الشافعی: «إن کان قبر نبی أو ولی أو عالمٍ واستلمه، أو قبّله بقصد التبرّک فلابأس به» (۲).

۴- وقال أیضاً: «یکره أن یقبّل التابوت الذی یجعل فوق القبر واستلامه وتقبیل الأعتاب عند الدخول لزیارهٔ الأولیاء.. نعم إن قصد التبرّک لا یکره، کما أفتی به الوالد.. فقد صرّحوا بأنّه إذا عجز عن استلام الحَجر سنَّ له أن یُشِر بعصا وأن یقبّلها» (۳).

۵- فتوی محبّ الدین الطبری الشافعی:

«یجوز تقبیل القبر ومسّه، وعلیه عمل العلماء والصالحین» (۴).

۶- فتوی شهاب الدین الخفاجی الحنفی:

قال فی شرحه علی الشفا عند قوله: یکره مسّه وتقبیله، وإلصاق

۱- المصدر السابق.

۲- حکاه الشبراملسی عن الشیخ أبی الضیاء المتوفی ۱۰۸۷ فی حاشیهٔ المواهب اللدنیهٔ، وکنز المطالب للحمزاوی: ۲۱۹.

۳- المصدر السابق.

۴- أسنی المطالب ۱: ۳۳۱، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۷.

ص: ۴۶

الصدر؛ قال: وهذا أمرٌ غیر مجمع علیه. ولذا قال أحمد والطبری:

لابأس بتقبیله والتزامه (۱).

۷- ابن أبی الصیف الیمانی، أحد علماء مکهٔ من الشافعیهٔ:

نُقل عنه: «جواز تقبیل المصحف وأجزاء الحدیث وقبور الصالحین» (۲).

۸- فتوی الزرقانی المالکی: «تقبیل القبر الشریف مکروه إلّا لقصد التبرّک فلا کراههٔ» (۳).

۹- العزامی الشافعی قال عند قول ابن تیمیهٔ: من طاف بقبور الصالحین أو تمسّح بها کان مرتکباً أعظم العظائم.

قال: وأتی بکلام ملتبس فمرّهٔ یجعله من الکبائر، واخری من الشرک إلی مسائل من أشباه ذلک. قد فرغ العلماء المحقّقون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوینها قبل أن یولد هو بقرون فیأبی إلّاأن یخالفهم، وربّما ادّعی الإجماع علی ما یقول، وکثیراً ما یکون الاجماع قد انعقد قبله علی خلاف قوله کما یعلم ذلک من أمعن فی کلامه وکلام من قبله وکلام من بعده ممّن تعقبه من أهل الفهم المستقیم والنقد السلیم. وإلیک مثالًا: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمین فأهل العلم فیه علی ثلاثهٔ أقوال: الجواز مطلقاً والمنع مطلقاً علی وجه کراههٔ التنزیه الشدیدهٔ ولکنها لم تبلغ حدّ التحریم. والتفصیل بین من

۱- شرح الشفا ۳: ۱۷۱- وفاء الوفا ۴: ۱۴۰۴- الغدیر ۵: ۱۳۴.

۲- الغدیر ۵: ۱۵۳.

۳- شرح المواهب ۸: ۳۱۵.

ص: ۴۷

غلبه شدّهٔ شوق إلی المزور فتنتفی عنده هذه الکراههٔ، ومن لا، فالأدب ترکه. وأنت إذا تأمّلت فی الامور التی کفَّر بها المسلمین.. ترجع إلی مقدّمتین صدقت کبراهما وهی کل عبادهٔ لغیر اللَّه شرک... وکذبت صغراهما وهی قوله: کل نداء لمیت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه فهو عبادهٔ لغیر اللَّه» (۱).

۱۰- ابن حجر: «استنبط بعضهم من مشروعیهٔ تقبیل الحجر الأسود جواز تقبیل کلّ من یستحق التعظیم من آدمی وغیره...» (۲).

۱۱- الشیخ ابراهیم الباجوری الشافعی: «یکره تقبیل القبر واستلامه إلّاان قصد به التبرّک بهم فلا یکره» (۳).

۱۲- وقال الشیخ العدوی الحمزاوی المالکی: «ولا مریهٔ حینئذ أنَّ تقبیل القبر الشریف لم یکن إلّاللتبرّک، فهو أولی من جواز ذلک لقبور الأولیاء عند قصد التبرّک» (۴).

روایهٔ فی تقبیل القبر

روی فی کشف الارتیاب عن کفایهٔ الشعبی وفتاوی الغرائب ومطالب المؤمنین وخزانهٔ الروایهٔ ما هذا لفظه:

«لابأس بتقبیل قبر الوالدین، لأن رجلًا جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله فقال:

۱- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۵.

۳- شرح الفقه الشافعی ۱: ۲۷۶، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۴- کنز المطالب: ۲۰، الغدیر ۵: ۱۵۴، مشارق الأنوار ۱: ۱۴۰.

ص: ۴۸

یارسول اللَّه إنّی حلفت أن اقبّل عتبـة باب الجنّة وجبهة حور العین، فأمره أن یقبِّل رِجلَ الامّ وجبهة الأب. قال: یارسول اللَّه إن لم یکن أبوای حیین؟ قال: قَبِّل قبرهما. قال: فإن لم أعرف قبرهما؟ قال: خطّ خطین انوِ أحدهما قبرَ الامّ. والآخر قبر الأب فقَّبلهما فلا تحنث فی یمینک» (۱).

التبرّک بالآثار

إن سیرة المسلمین قدیماً وحدیثاً جاریة علی التبرک بمنبر رسولاللَّه صلی الله علیه و آله وموضعصلاته وموضعقدمه، والتبرّک بمامسّهالنبی الکریم من الأشیاء، والتبرّک بتراب المدینة، خصوصاًتراب قبرسیّدنا حمزة علیه السلام.

وإلیک بعض النماذج فی ذلک:

أ- التبرّک بالمنبر:

کان لمنبر النبی صلی الله علیه و آله عند المسلمین الحرمة والمکانة بحیث کان بعض الفقهاء یتأبی من الحلف علی المنبر تعظیماً له؛ وانّهم کانوا یتبرّکون به:

۱- البخاری: قضی مروان بالیمین علی زید بن ثابت علی المنبر (۲).

۲- العاقولی: بعد ذکره منبر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «إن هذا المنبر

۱- کشف الارتیاب: ۳۵۰.

۲- صحیح البخاری ۳: ۲۴۳.

ص: ۴۹

تهافت على طول الزمان فجدّده بعض خلفاء بنى العبّاس، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه و آله أمشاطاً للتبرّك بها كما أنّهم- أى الصحابة- كانوا يهتمّون بمسّه» (۱).

۳- وفى كتاب الآثار النبويـة: «منبره صلى الله عليه و آله كان بمكانه حتى احترق وكان لإحراقه فى سكان المدينة الطيبة وقعٌ أليمٌ لما فاتَهُم من مسِ رمّانتهِ التى كان يضع يده المباركة عليها ولمْسِ موضع قدميه الشريفين» (۲).

۴- عن يزيـد بن عبداللّه بن قسيط (۳) قال: رأيت ناساً من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله إذا خلا المسجد أخذوا برمّانـةِ المنبر الصلعاء التى تلى القبر بميامنهم ثُمّ استقبلوا القبلة يدعون» (۴).

۵- ذكر الشيخ أحمد بن عبدالحميد- وهو من أعلام القرن العاشر- تبرّك الناس بأعواد منبر النبى صلى الله عليه و آله (۵).

۶- السمهودى: «إن منبر النبى صلى الله عليه و آله جُعل عليه منبر كالغلاف وجُعِلَ فى المنبر الأعلى طاق ممّا يلى الروضة، فيُدْخلُ الناس منها أيديهم، يمسحون منبر النبى صلى الله عليه و آله ويتبرّكون بذلك» (۶).

۱- راجع كتاب التبرّك: ۱۳۹ للعلّامة الأَحمدى.

۲- الآثار النبوية: ۳۱.

۳- قالوا فيه: «هو الإمام الفقيه الثقة، روى عنه اصحاب الصحاح الستة، وانه ثقة فقيه، يستعان‌به فى الأعمال لأمانته وفقهه مات عام ۱۲۲ ه» سير اعلام النبلاء ۵: ۲۶۶.

۴- الطبقات الكبرى ۱: ۱۳، وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۱.

۵- عمدة الأخيار: ۱۳۵.

۶- وفاء الوفاء ۲: ۳۹.

ص: ۵۰

فتوى الفقهاء فى ذلک:

۱- روى عن مالك ويحيى بن سعيد الأنصارى، شيخُ مالك، وكذا عن ابن عمر، وابن المسيّب: جواز مسح رمانة المنبر (۱).

۲- واما من طرق أهل البيت عليهم السلام: فعن الامام جعفر الصادق عليه السلام «وإذا فرغتَ من الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله فآتِ المنبر فامسحه بيدك وخذ برمّانتيه، وهما السفلان، وامسح عينيك ووجْهكَ به، فانّه يقال:

إنّه شفاء للعين» (۲).

۴- قال إسحاق بن إبراهيم: «ومما لم يزل شأن مَن حج، المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله والتبرّك برؤية روضتهِ ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه، والعمود الذى كان يستند إليه ونزل جبرئيل عليه. وبمن عمّره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كلّه» (۳).

التبرّک بتراب القبر وتراب المدينة:

قد ثبت أن المسلمين كانوا يتبرّكون بتراب قبر النبى صلى الله عليه و آله وقبر حمزة وبتراب المدينة مطلقاً، كما وردت نصوص فى أن تراب المدينة

۱- الصارم المنكى: ۱۳۲، وفاء الوفا ۴: ۱۴۰۳، انظر ترجمة يحيى فى سير اعلام النبلاء ۵: ۴۶۸.

۲- وسائل الشيعة ۱۰: ۲۷۰، باب ۷ ح ۱.

۳- الصارم المنكى: ۱۴۸.

ص: ۵۱

شِفاء من كل داء، أو من الجذام، أو من الصداع أو غير ذلك. وقد أفتى فقهاء المسلمين بجواز ذلك بل رجحانه:

۱- قال السمهودى: «كانوا- أى الصحابة- وغيرهم يأخذون من تراب قبر النبى صلى الله عليه و آله. فَأَمرت عائشة فضرب بالكوة فَسُدّت» (۱).

وقيل: إن ضربها لأجل انه يوجب نفاد تراب القبر الشريف وخراب القبة الشريفة (۲).

۲- وقال أيضاً: بعد ذكره تبرّك المسلمين بتراب المدينة: إنّهم جرَّبوا تراب قبر صهيب (۳) للحمّى. ثم قال الزركشى: استثنى من عدم جواز حمل تراب المدينة إلى غيرها- لكونها حرماً- تربة حمزة لاطباق الناس على نقلها للتداوى» (۴).

۳- يقول الصنهاجى: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذى كان الناس يحملونه للتبرّك هل يجوز أو يمنع؟ فقال: هو جائز، وما زال الناس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء والصالحين وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة فى القديم من الزمان (۵).

۴- قال ابن فرحون: «والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة، ويعملون خرزاً يشبه التسبيح. واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة» (۶).

۱- وفاء الوفاء ۱: ۵۴۴.

۲- المصدر السابق.

۳- بل أرض صُعيب اسم موضع بالمدينة كما يأتى.

۴- وفاء الوفاء ۱: ۶۹.

۵- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۶.

۶- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۶.

ص: ۵۲

أحاديث فی الاستشفعاء بتراب المدينة:

۱- السمهودی: روينا فی كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزی حديث: غبار المدينة شفاء من الجذام.

۲- وفی جامع الاصول لابن الأثير عن سعد قال: لما رجع رسول اللَّه صلی الله عليه و آله من تبوک تلقّاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين، فأثاروا غباراً، فخمَّر- أو فغطّی- بعضُ مَنْ كان مع رسول اللَّه صلی الله عليه و آله أنفه فأزال رسول اللَّه صلی الله عليه و آله اللثام عن وجهه وقال: والذی نفسی بيده إن فی غبارها شفاء من كل داء.

۳- وعن أبی سلمة: بلغنی ان رسول اللَّه صلی الله عليه و آله قال: غبار المدينة يطفی الجذام.

قلت: وقد رأينا من استشفی بغبارها من الجذام وكان قد أضرَّ به كثيراً، فصار يخرج إلی الكومة البيضاء، ببطحان بطريق قباء ويتمرّغ بها ويتخذها منها فی مرقده فنفعه ذلک جدّاً.

۴- روی ابن زبالة ويحيی بن الحسن بن جعفر العلوی وابن النجار كلاهما فی طريقه أن النبی صلی الله عليه و آله أتی بَلحارث، فإذا هم روبی (۱)، فقال: مالكم يابنی الحارث روبی؟ قالوا: أصابتنا يارسول اللَّه هذه الحمّی. فقال: فأين أنتم من صُعيب؟ قالوا: يارسول اللَّه ما نصنع به؟

۱- أی الخاثر النفس، الشديد الاعياء، المختلط العقل. انظر القاموس المحيط ۱: ۸۰.

ص: ۵۳

قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه فی ماء، ثم یتفل علیه أحدکم ویقول:

بسم اللَّه، تراب أرضنا بریق بعضنا، شفاء لمریضنا، بإذن ربّنا ففعلوا فترکتهم الحمّی.

قال ابن النجار عقبهٔ: قال أبو القاسم بن یحیی العلوی: صعیب:

وادی بطحان دون الماجشونیهٔ، وفیه حفرهٔ مما یأخذ الناس منه، وهو الیوم إذا وَبَأ إنسان أخذ منه.

وقال ابن النجار: وقد رأیتُ أنا هذه الحفرهٔ الیوم، والناس یأخذون منها، وذکروا انهم جربوه فوجدوه صحیحاً.

قال: وأخذت أنا منه أیضاً.

قلت: وهذه الحفرهٔ موجودهٔ الیوم مشهورهٔ خَلفاً عن سلف یأخذ الناس منها وینقلونه للتداوی وقد بعثتُ منها لبعض الأصحاب، اخذاً ممّا ذکروه فی أخذ نبات الحرم للتداوی.

ثم قال السمهودی بعد کلام الزرکشی: ینبغی أن یستثنی من منع نقل تراب الحرم تربهٔ حمزهٔ رضی الله عنه، لاطباق السلف والخلف علی نقلها للتداوی من الصداع.

فقلت: عند الوقوف- علی کلام الزرکشی- أین هو من تراب صعیب (۱)».

التبرّک بالنقود والذهب الذی مسّهُ النبی صلی الله علیه و آله

۱- عن جابر بن عبداللَّه قال: کنتُ مع النبی صلی الله علیه و آله... وکنت علی جملٍ فاعتلَّ، قال فلحقنی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وأنا فی آخر الناس فقال: ما

۱- وفاء الوفاء ۱: ۶۹.

ص: ۵۴

لكَ ياجابر؟ قلت: إِعتلَّ بعيرى، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره، قال: فما زلت إنّما أنا فى أوّل الناس.. فلما دنونا من المدينة قال لى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ما فعل الجمل؟ قلت: هوذا قال: فبعنيه قلت: لا بل هو لك،.. قال: لا قد أخذته بأُوقية، إركبه فإذا قدمتَ فائتنا به، قال: فلما قدمتُ المدينة جئتُ به فقال: يابلال زن له وقية وزده قيراطاً، قال: قلت هذا قيراط زادنيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا يفارقنى أبداً حتى أموت. قال: فجعلتُهُ فى كيس فلم يزل عندى حتى جاء أهل الشام يوم الحرَّة، فأخذوه فيما أخذوا (۱).

فها هو جابر بن عبداللَّه الأنصارى الصحابى يتبرّك ويحتفظ- وفى حياة النبى- بقيراطٍ زاده النبى صلى الله عليه و آله ويؤكّد على اصطحابه إلى أن يموت.

۲- عن بعض النساء اللاتى خرجن مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى خيبر وأعطاهن النبى سهماً من الغنائم قالت: أتيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى نسوة فقلت يا رسول اللَّه قد أردنا الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا.

فقال: على بركة اللَّه، قالت: فخرجنا معه، فلما افتتح خيبر ورضخ (۲) لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها فى عنقى، فواللَّه لا تفارقنى أبداً، وأوصت أنها تدفن معها» (۳).

فهذه الصحابية تتبرّك بقلادة مستها يد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وتفتخر بها وتوصى أن تدفن معها. ولم ينكر عليها أحد، ولا رماها بالبدعة

۱- مسند أحمد ۳: ۳۱۴، سنن النسائى ۷: ۲۹۸.

۲- الرَّضخ: العطاء اليسير، مجمع البحرين ۲: ۴۳۲ مادة «رضَخَ».

۳- السيرة الحلبية ۲: ۷۷۰.

ص: ۵۵

والشرک والکفر.

التبرّک بآثار النبی صلی الله علیه و آله

۱- عن أنس بن مالک قال: «رأیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله والحلّاق یحلقه وأطاف به أصحابه، فما یریدون أن تقع شعرهٔ إلّافی ید رَجُلٍ» (۱).

۲- وعن محمد بن سیرین، قلت لعبید: عندنا من شعر النبی صلی الله علیه و آله أصبناه من قِبل أنس، قال: لأن یکون عندی شعرهٔ منه أحبَّ إلیَّ من الدنیا وما فیها» (۲).

۳- وعن کبشهٔ قالت: دخل علیَّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فَشَرِب من فی قربهٍ معلّقهٍ قائماً فقمتُ إلی فیها فقطعتُهُ (۳).

وعن ابن ماجهٔ زیادهٔ: تبتغی برکهٔ موضع فی (ای فم) رسول اللَّه صلی الله علیه و آله (۴).

ثم ان الترمذی حسَّن الحدیث وصحّحه (۵).

۴- ان سهل بن سعد یحدِّث من حوله: أن النبی صلی الله علیه و آله حینما جلس هو وأصحابه فی سقیفهٔ بنی ساعدهٔ، وطلب من سهل أن یسقیه ماءاً،

۱- جامع الاصول ۴: ۱۰۲.

۲- المصدر نفسه.

۳- الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۳۰۶ الرقم ۱۴۹۲.

۴- سنن ابن ماجهٔ ۲: ۱۱۳۲ الرقم ۳۴۲۳.

۵- الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۳۰۶.

ص: ۵۶

یقول: فأخرجتُ لهم هذا القدح فأسقیتُهم فیه، فأخرج- یقول الراوی- لنا سهل ذلک القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزیز بعد ذلک، فوهبه له.

قال البخاری: رأیت هذا القدح بالبصرة وشربتُ منه، وکان اشتری من میراث النضر بن أنس، بثمانمائة ألف (۱).

تبرّک الفاکهانی بنعلٍ منسوب إلی النبی صلی الله علیه و آله

وعن جمال الدین عبداللَّه بن محمّد الأنصاری (۲) المحدّث قال:

رحلنا مع شیخنا تاج الدین الفاکهانی (۳) إلی دمشق فقصد زیارة نعل سیِّدنا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله التی بدار الحدیث الأشرفیه بدمشق وکنت معه فلمّا رأی النعل المکرّمة حسر عن رأسه وجعل یقبّله ویمرّغ وجهه علیه ودموعه تسیل وأنشد:

فلو قیل للمجنون: لیلی ووصلها ترید أم الدنیا وما فی طوایاها

لقال: غبارٌ من تراب نعالها أحبُّ إلی نفسی وأشفی لبلواها

(۴)

۱- فتح الباری: ۱۰۱- ۱۰۳.

۲- لاحظ ترجمته فی معجم المؤلفین ۶: ۱۱۵.

۳- قالوا فیه: «فقیه مشارک فی الحدیث والاصول والعربیة توفی عام ۷۳۱ ه. ومن تصانیفهالتحفة المختارة فی الرّد علی منکر الزیارة» معجم المؤلفین ۷: ۲۹۹.

۴- الدیباج المذهب: ۱۸۷، الغدیر ۵: ۱۵۵.

ص: ۵۷

۵- سیرهٔ ابن عمر:

عن نافع: لو نظرت إلی ابن عمر، إذا اتّبع رسول اللّه لقلت هذا مجنون (۱).

وقال أیضاً: إن ابن عمر کان یتّبع آثار رسول اللّه صلی الله علیه و آله کلَّ مکان صلّی فیه، حتی أنّ النبی صلی الله علیه و آله نزل تحت شجرهٔ فکان ابن عمر یتعاهد تلک الشجرهٔ، فیصبّ فی أصلها الماء، لکیلا تیبس (۲).

وعن مالک: إن ابن عمر کان یتبع أمر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وآثاره وحاله، ویهتمّ به حتی کان قد خیف علی عقله من اهتمامه بذلک (۳).

عن نافع عن ابن عمر: انّه کان فی طریق مکهٔ یقول برأس راحلته یثنیها ویقول: لعلَّ خُفاً یقع علی خفٍ، یعنی راحلهٔ النبی صلی الله علیه و آله (۴).

کان ابن عمر یتبرّک بمقعد النبی صلی الله علیه و آله من منبره (۵).

عن إبراهیم بن عبدالرحمن بن عبد القاری انّه نظر إلی ابن عمر وهو یضع یده علی مقعد النبی صلی الله علیه و آله من المنبر ثم یضعها علی وجهه (۶).

۶- سیرهٔ محمد بن المنکدر:

۱- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳، حلیهٔ الاولیاء ۱: ۳۱۰.

۲- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳، أسد الغابهٔ ۳: ۳۴۱.

۳- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۱۳.

۴- سیر أعلام النبلاء ۳: ۲۳۷، حلیهٔ الأولیاء ۱: ۳۱۰.

۵- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۶.

۶- المغنی لابن قدامهٔ ۳: ۵۵۹.

ص: ۵۸

وکان محمد بن المنکدر (۱) یأتی موضعاً من المسجد فی الصحن فیتمرّغ فیه ویضطجع فقیل له فی ذلک، فقال: إنی رأیت النبی صلی الله علیه و آله فی هذا الموضع (۲).

۷- سیرة المأمون:

قال المأمون لیحیی بن أکثم إن الرجل لیأتینی بالقطعة من العود أو بالخشبة، أو بالشیء الذی لعل قیمته لا تکون إلّادرهماً أو نحوه، فیقول: إنَّ هذا کان للنبی صلی الله علیه و آله أو قد وَضَع یده علیه أو مسّه، وما هو عندی بثقة ولا دلیل علی صدق الرجل، إلّاأنی بفرط النیة والمحبة، أقبل‌ذلک، فاشتریه‌بألف دینار وأقل وأکثر، ثم‌أضَعَهُ علی‌وجهی وعینی، وأتبرّک بالنظر إلیه وبمسِّه فأستشفی به عند المرض یصیبنی أو یصیب من أهتمّ به فأصونه کصیانتی لنفسی وإنما هو عودٌ لم یفعل هو شیئاً ولا فضیلة له، تستوجب به المحبة إلّاما ذکر من مسِّ رسول اللَّه» (۳).

أقول: ویحیی بن أکثم هذا هو من أئمة السنة وعلماء الناس کما عن ابن کثیر (۴). وهو قاضی القضاة والفقیه العلامة ومن أئمة الاجتهاد کما

۱- وثّقه ابن معین وابو حاتم، وروی له الستة فی صحاحهم وقالوا فیه انه الحافظ الامام، وانه‌من معادن الصدق ویجتمع إلیه الصالحون، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۸.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۴۰۶، سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۹.

ثم ان رؤیته للنبی کان فی المنام لا فی الیقظة، وذلک لأنه تابعی وولادته عام بضع وثلاثین للهجرة.

۳- تاریخ بغداد لطیفور: ۴۵.

۴- البدایة والنهایة ۱۰: ۳۱۶، هذا من باب المماشاة، وإلّا فابن أکثم معروف بعبثه بالمُردُ انظر: سیر أعلام النبلاء ۱۲: ۱۰.

ص: ۵۹

عن الذهبی (۱).

والمأمون هـذا الـذی یقال عنه: کان أمّاراً بالعدل محمود السیرة، میمون النقیبة فقیه النفس، یُعدّ من کبار العلماء! تراه یتبرّک بالأشیاء المنسوبة إلی النبی صلی الله علیه و آله، ویری التبرّک أمراً مشروعاً وجوازه مفروغاً عنه، ویذکر هـذا الأمر عنـد یحیی الـذی هو من فقهاء العصر، ولا یرده بل یقرره علی الجواز.

التبرک بحجرٍ من بیت فاطمة علیها السلام:

عن یحیی بن عباد: أنه روی ان بیت فاطمة الزهراء علیها السلام لما أخرجوا منه فاطمة بنت الحسین وزوجها الحسن بن الحسن وهدّموا البیت، بعث حسنُ ابنه جعفراً وکان أسنَ ولـده وقال: انظر الحجر الـذی من صـفته کـذا وکذا. هل یُدخلونه فی بنیانهم؟ فرصدهم حتی رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر، فأخبر أباه، فخرَّ ساجداً وقال: ذلک حجرٌ کان رسول اللّٰه صـلی الله علیه و آله یصلّی إلیه إذا دخل إلی فاطمـة، أو کانت فاطمـة تصلّی إلیه- الشک من یحیی- وقال علی بن موسی الرضا علیه السـلام، ولـدت فاطمة علیها السـلام الحسن والحسین علیهما السلام علی ذلک الحجر.

قال یحیی: ورأیت الحسین بن عبداللّٰه بن عبداللّٰه بن الحسین، ولم أرَ فینا رجلًا أفضل منه، إذا اشتکی شیئاً من جسده کشف الحصی عن

۱- سیر أعلام النبلاء ۱۰: ۲۷۹، ولا ـ منافاة عنـد البعض بین کونه أماراً بالعـدل وشربه الخمر ۱۰: ۲۷۶، وان حاول المعلق الـدفاع عنه کعادته فی هذه التعالیق.

ص: ۶۰

الحجر فیتمسّح (۱) به».

أقول: فإذا کانت هذه حرمة حجر نال البرکة بولادة فاطمة علیها السلام ولدیها الحسنین علیهما السلام؛ وبصلاتها أو صلاة أبیها صلی الله علیه و آله إلیه. فکیف بتربة ضمَّت جسد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؟ ألا یحق التبرّک بها وطلب الحاجة إلی اللَّه عند تلک التربة وذلک القبر؟

التبرک بحجرٍ من المروة:

عن رزین مولی علی بن عبداللَّه بن عباس ان علیاً کتب إلیه أن یبعث إلیه بقطعة من المروة فیتخذه مصلّی یسجد علیه (۲).

قبور وجنائز یتبرّک بها

۱- قبر سعد بن معاذ: إن أَحَداً أخذ من تراب سعد، فذهب بها ثم نظر إلیها بعد ذلک فإذا هی مسک (۳).

۲- قبر عبداللَّه الحدانی: المقتول سنة ۱۸۳ ه قُتل یوم الترویة کان الناس یأخذون من تراب قبره کأنّه مسک یُصیّرونه فی ثیابهم (۴).

۳- قبر معروف الکرخی: قال ابن الجوزی: قبره ظاهر یتبرّک به فی بغداد. وکان إبراهیم الحربی یقول: قبرُ معروف: التریاق المجرّب (۵).

۱- کشف الارتیاب: ۳۵۲، وفاء الوفاء.

۲- وفاء الوفاء ۱: ۱۱۵.

۳- الطبقات الکبری ۳: ۱۰، سیر أعلام النبلاء ۱: ۲۸۹. وهو السید الکبیر، أبو عمرو الأنصاری الذی قیل اهتز العرش لموته. انظر سیر أعلام النبلاء ۱: ۲۷۹، وعندنا أیضاً: انّه صحابی جلیل، انظر: معجمرجالالحدیث ۸: ۹۱ وتنقیحالمقال ۲: ۲۱، مستدرکات علم الرجال ۴: ۴۳.

۴- حلیة الأولیاء ۲: ۲۵۸، تهذیب التهذیب ۵: ۳۱۰.

۵- صفة الصفوة ۲: ۳۲۴.

ص: ۶۱

۴- قبر أحمد بن حنبل: إمام الحنابلة المتوفی ۲۴۱ ه. قبره ظاهر مشهور یزار ویتبرّک به (۱).

۵- قبر الخضر بن نصر الأربلی الفقیه الشافعی المتوفی ۵۶۷ ه نقل ابن کثیر عن ابن خلکان: «قبره یزار وقد زرته غیر مرّة ورأیت الناس ینتابون قبره ویتبرّکون به» (۲).

والحاصل انّا طالما نری الصحابة والتابعین والمحدّثین یتبرّکون بآثار رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، هذا یتبرّک بشعرة من شعراته صلی الله علیه و آله وذلک یتبرّک ب «فم قربةٍ» شَرِب منها، وثالث یتبرّک بنعله صلی الله علیه و آله ورابع یتبرّک بموضع خف بعیر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وخامس یتبرّک بالعود، أو الخشبة التی کانت لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، وسادس یتبرّک بتراب قبره صلی الله علیه و آله وهلَّم جراً. ولیسوا أفراداً عادیین، فمنهم الصحابة ومنهم التابعون، ومنهم أئمّة الحدیث وأصحاب الصحاح والسنن أو مشایخهم والفقهاء.

وبعد هذا کلّه فما بالُ ابن تیمیة وأنصاره یکفِّرون من تبرّک بالقبور أو بخصوص قبر النبی صلی الله علیه و آله، فهل یلتزم- ابن تیمیة- بلوازم کلامه: من تکفیر الصحابة والتابعین وأصحاب الصحاح، والفقهاء خلفاً عن سلف!!؟

۶- قبر نور الدین محمود بن زنکی المتوفی ۵۶۹:-

قال ابن کثیر: قبره بدمشق یزار ویحلّق بشبّاکه ویطیّب ویتبرّک

۱- مختصر طبقات الحنابلة: ۱۴.

۲- البدایة والنهایة ۱۲: ۳۵۳، انظر الغدیر ۵: ۲۰۳.

ص: ۶۲

به کلُّ مار (۱).

۷- اتباع ابن تیمیة یتبرّکون بجنازته:

لقد تبرَّک أتباعه بجنازته وماء غسله ممّا یثیر السؤال: هل أن اتباعه کانوا مشرکین وأهل بدعة، طالما یری التبرّک شرکاً وبدعة، إذ تمسَّحوا بالجنازة؟! هل شیّعه المشرکون ولم یحضر جنازته مسلم!؟ أو أن جواز التبرّک والتمسّح، أمرٌ ارتکازی لدی المسلمین، وأن الفتوی بحرمته، یُعدُّ فتوی علی خلاف المرتکز وقولًا بغیر ما أنزل اللَّه؟

«کان تشییعه حافلًا حتی ضاقت الطریق لجنازته وانتهی إلیها الناس من کل فجٍّ عمیق واشتد الزحام وألقوا علی نعشه منادیلهم وعمائمهم للتبرّک، وکسرت أعواد سریره لکثرة تعلّق الناس به وشربوا ماء غُسله للتیمن.. واشتروا ما زاد من سدره وقسّموه بینهم. ویقال:

إن الخیط الذی کان علیه الزیبق وعلّق علی جسده لدفع القمل، اشتروه بمائة وخمسین درهماً» (۲).

تبرّک الناس بتراب قبر البخاری:

کتب السُبکی عن وفاة البخاری ودفنه:

«واما التراب، فانّهم کانوا یرفعون عن القبر، حتّی ظهر القبر، ولم

۱- البدایة والنهایة ۱۲: ۳۵۳، انظر الغدیر ۵: ۲۰۳، هو السلطان صاحب بلاد الشام، قالوا عنه: کان مجاهداً فی الفرنج آمراً بالمعروف، ولیست الدنیا عنده بشیء، استرجع من أیدی الکفّار نیفاً وخمسین مدینة.. البدایة والنهایة ۱۲: ۳۰۶.

۲- انظر البدایة والنهایة ۱۴: ۱۳۶، الکنی والألقاب ۱: ۲۳۷.

ص: ۶۳

یکن یُقدَر علی حفظ القبر بالحراس، وغلبنا علی أنفسنا فنصبنا علی القبر خشباً مُشَّبکاً، لم یکن أحدٌ یقدر علی الوصول إلی القبر» (۱).

فهل کان أهل سمرقند عام ۲۵۶ ه کفّاراً ومشرکین، إذ کانوا یتبرّکون بتراب قبر محمد بن إسماعیل البخاری؟!

وهل جهّزه وکفّنه وشیّعه ودفنه الکفّار؟

ما هذه الجرأة فی التهجّم علی المسلمین؟ أین التقوی والعفّة فی الکلام؟ وأین هذه الأفکار والمزاعم من الإسلام والسنّة النبویة.

دعنا نکتف بهذا المقدار من النصوص التاریخیة الدالة علی أن التبرّک بقبور المسلمین وآثارهم کان من الامور الرائجة والمتعارف علیها فی المجتمع الإسلامی من عهد النبی صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا ولم یفت فقیه بحرمة ذلک، بل صرّحوا بجوازه ورجحانه، واستحبابه.

۱- طبقات الشافعیة ۲: ۲۳۳، سیر أعلام النبلاء ۱۲: ۴۶۷.

ص: ۶۴

ص: ۶۵

الفصل الثالث: الاستغاثة وطلب الحوائج

اشارة

الاستغاثة

وطلب الحوائج

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- الاستغاثة بالنبی

۴- الاستغاثة بالأنبیاء استغاثة بالأحیاء

۵- عثمان یأمر بالاستغاثة بقبر النبی صلی الله علیه و آله

۶- الاستغاثة بالقبور

۷- نماذج ممن استغاث بالقبور

ص: ۶۶

صفحه سفيد

ص: ۶۷

قال ابن تيميـة: «إن قول أدركنى أو أغثنى أو أشـفع لى أو انصـرنى على عـدوّى ونحو ذلك ممّا لا يقـدر عليه إلّااللَّه إذا طلب فى أيّام البرزخ كان من أقسام الشرك» (۱).

وقال فى رسالهٔ زيارهٔ القبور والاستنجاد بالمقبور:

«من يأتى إلى قبر نبى أو صالح ويسأله حاجته ويسـتنجده مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو يقضـى دينه، أو نحو ذلك ممّا لا يقدر عليه إلّا اللَّه فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلّا قُتِل».

وقـال: «قول كثير من الضـلّال: هـذا أقرب إلى اللَّه منّى. وأنـا بعيـد من اللَّه لايمكننى أن أدعوه إلّابهـذه الواسـطهٔ ونحو ذلك من أقوال المشركين» (۲).

۱- الهديهٔ السنيهٔ: ۴۰.

۲- انظر كشف الارتياب: ۲۱۴.

ص: ۶۸

وقال محمد بن عبد الوهاب: «إنَّ دعاء غير اللَّه والاستغاثة بغير اللَّه موجب للارتداد عن الدين والدخول فى عداد المشركين وعبدة الأصنام واستحلال المال والدم إلّامع التوبة...» (۱).

والجواب:-

إن الدعاء والاستغاثة بغير اللَّه يكون على وجوه ثلاثة:

۱- أن يهتف بإسمه مجرّداً مثل أن يقول: يا محمد، يا عبدالقادر، ياأهل البيت.

۲- أن يقول: يافلان كن شفيعى، أو ادع اللَّه أن يقضى حاجتى.

۳- أن يقول: اقض دينى، إشفِ مريضى، يامحمد أغننى من فضلك.

ولا مانع فى هذه الوجوه، فضلًا عن أنها ليست شركاً باللَّه، لأن المسلم الموحِّد يعتقد بأن سوى اللَّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً بالاستقلالية، وإذا رجا من أحدٍ نفعاً أو كشفاً لضرٍّ فيما منحه اللَّه تعالى من ذلك، وبلا إنفكاك عن مشيئة اللَّه، فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن.. فهو لا يقصد من التوجّه إلى من ارتضاه اللَّه واجتباه وفضّله على خلقه إلّاالشفاعة فى قضاء الحاجة والدعاء لتيسير وتعجيل وتحقيق قضائها. فلابد من حمل فعله على الصحيح، وعدم التهجّم على الدماء والأموال والأعراض بغير يقين.

وعليه فلو قال: يامحمد: ادع اللَّه أن يقضى حاجتى، يكون

۱- انظر كشف الارتياب: ۲۱۴.

ص: ۶۹

المقصود هو اللّه تعالی.

وامّا لو قال: یامحمد اقض حاجتی: فمن باب إسناد الفعل إلی السبب مثل: انبت الربیع البقل.

وفیما یلی تذکرهٔ ببعض الآیات التی ظاهرها صدور الفعل من العبد:

۱- وما نقموا إلّاأن أغناهم اللّه ورسوله (۱).

۲- وارزقوهم فیها واکسوهم (۲).

۳- ولو أنّهم رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله وقالوا حسبنا اللّه سیؤتینا اللّه من فضله ورسوله (۳).

فالإغْناءُ لا یکون إلّامن اللّه فکیف جُعِل الرسول صلی الله علیه و آله (۴) شریکاً فی الرزق؟ والوهابیهٔ جعلت قول: ارزقنی شرکاً وکفراً.

۴- أضف إلی ذلک أن اللّه تعالی نسب إلی عیسی الخلق وإبراء الأکمه والأبرص.

۱- التوبهٔ: ۷۴.

۲- النساء: ۵.

۳- التوبهٔ: ۵۹.

۴- عن الصادق علیه السلام: أنّ أبا حنیفهٔ أکل معه، فلمّا رفع الصادق علیه السلام یده من أکله، قال: الحمد للّهربّ العالمین. اللهم هذا منک ومن رسولک صلی الله علیه و آله فقال أبو حنیفهٔ: یا أبا عبداللّه! أجعلت مع اللّه شریکاً؟ فقال له: ویلک، إنَّ اللّه یقول فی کتابه: وما نقموا إلّاأن أغناهم اللّه ورسوله من فضله «التوبهٔ: ۷۵» ویقول فی موضع آخر: ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله وقالوا حسبنا اللّه سیؤتینا اللّه من فضله ورسوله «التوبهٔ: ۵۹» فقال أبو حنیفهٔ: واللّه لکأنّی ما قرأتها قط، کنز الفوائد: ۱۹۶- عنه الوسائل ۲۴: ۳۵۱، والبحار ۴۷: ۲۴۰.

ص: ۷۰

إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه (۱). فكيف لايكون هذا شركاً وكفراً، ويكون نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق إلى النبى، أو الولى بإذن اللّه شركاً؟!

كلام السمهودى الشافعى:

«قد يكون التوسل به صلى الله عليه و آله بطلب ذلك الأمر منه بمعنى أنه صلى الله عليه و آله قادر على التسبيب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة.

ومنه قول القائل له: أسألك مرافقتك فى الجنة، ولا يقصد به إلّا كونه صلى الله عليه و آله سبباً وشافعاً (۲).

أقول: إن المرافقة فى الجنّة لايقدر عليها غير اللّه، مثل غفران الذنب وشفاء المريض.

نعم لو قصد بهذا الدعاء الاستقلال فى التأثير، فهذا ما لم يقصده أحدٌ من المسلمين.

إذن فالاستغاثة والاستعانة ترجع إلى طلب الشفاعة والدعاء.

ولا مانع منه عقلًا ونقلًا.

والوهابية قد اعترفت بجواز الدعاء من الحى.

۱- آل عمران: ۴۹.

۲- وفاء الوفاء ۲: ۴۲۱.

ص: ٧١

قال ابن تيمية: ثبت عنه صلى الله عليه و آله ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلّاوكّل اللّه بها ملكاً كلّما دعا لأخيه دعوة، قال الملك ولك مثل ذلك (١).

ومن المشروع فى الدعاء إجابة غائب لغائب، ولهذا أمر صلى الله عليه و آله بالصلاة عليه، وطلب الوسيلة له.

ففى الحديث: إذا سمعتم المؤذِّن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلّوا علىَّ فإنَّ من صلّى علىَّ مرّة صلّى اللّه عليه عشراً ثم اسألوا اللّه لى الوسيلة، فانّها درجة فى الجنة لاينبغى أن تكون إلّالعبد من عباد اللّه وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل اللّه لى الوسيلة حلّت له شفاعتى يوم القيامة (٢).

كما يشرع طلب الدعاء ممّن هو فوقه ودونه، فقد ثبت فى الصحيح: انّه صلى الله عليه و آله ذكر اويس القرنى وقال لعمر: إن استطعت أن يستغفر لك فافعل (٣).

وفى الحديث: إن الناس لما أجدبوا سألوا النبى أن يستسقى لهم فدعا اللّه لهم فَسُقوا (۴).

اذن: عرفنا ان الاستغاثة هى طلب الدعاء من المستغاث به ولا مانع منه سواء كان دونه أو مساوياً له.

١- رسالة زيارة القبور: ١٥٥.

٢- كشف الارتياب: ٢٢٣.

٣- المصدر السابق.

۴- مسند أحمد ٣: ٢۴۵ و ٢۶١ و ٣٨١.

ص: ۷۲

الاستغاثة بالميّت:

اما طلب الدعاء من الميّت، فلم يجوّزه الوهابيون واستدلّوا على ذلك بالآية الكريمة: فلا تدعوا مع اللَّه أحداً (۱).

والجواب عن ذلك: ان للدعاء معنىً لغوياً ومعنى اصطلاحياً.

امّا اللغوى:

۱- الدعاء فى اللغة: هو النداء: مثل قوله تعالى:

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً (۲).

۲- ويطلق الدعاء على سؤال اللَّه تعالى وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه.

وهذا الاطلاق إمّا لأنّه أحدُ أفراد المعنى اللغوى، أو لصيرورته حقيقة عرفية فى ذلك، أو مجازاً مشهوراً. والدعاء بهذا المعنى يسمّى عبادة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين (۳).

ثم إن مطلق الدعاء، ونداء الغير وطلب الحاجة من غير اللَّه لايكون عبادة ولا ممنوعاً، فمن دعا رجلًا ليأتى إليه، أو ليعينه وينصره، أو ليناوله شيئاً، أو يقضى له حاجة لم يكن عابداً له ولا آثماً.

۱- الجن: ۱۸.

۲- النور: ۶۳.

۳- سورة غافر: ۶۰.

ص: ۷۳

المعنى الاصطلاحى:

۱- قد يراد به الدعاء الخاص وهو الدعاء المساوى لدعاء اللَّه باعتقاد أنّ المدعو قادرٌ مختار مستقل عن اللَّه فى ذلك، كما كانت اليهود والنصارى تفعل ذلك فى بِيَعها وكنائسها.

۲- وقد يراد به دعاء من نهى اللَّه عن دعائه من الأصنام والأوثان التى هى أحجار وأشجار، كما فى دعاء المشركين.

۳- وقد يراد دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون ان لهم تأثيراً فى الكون مع اللَّه بأنفسهم.

وعلى هذا المعنى يدل قوله تعالى:

ان الذين تدعون من دون اللَّه عبادٌ أمثالكم (۱) و والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (۲).

وقوله تعالى: فلا تدعوا مع اللَّه أحداً (۳).

والحاصل: إن دعا نبيّاً واستغاث به فذلك لا يدخل فى الدعاء المنهى عنه. وذلك لأن هذا الدعاء ليس معناه هذه الصور الثلاث- الأخيرة- بل معناه: الطلب من النبى أن يدعو اللَّه أو يشفع له عنده، مع اعتقاد أنّ الأمر للَّهإن شاء قَبله، وإن شاء ردّه.

ولايكون هذا من الدعاء المنهى عنه بعدما عرفت بأنه ليس كل دعاء منهياً عنه، بل دعاء الغير باعتقاد استقلالية المخلوق فى التأثير هو

۱- الأعراف: ۱۹۴.

۲- الأعراف: ۱۹۷.

۳- الجن: ۱۸.

ص: ۷۴

المنهى عنه.

الاستغاثة بالأنبياء إستغاثة بالأحياء

قد يقال: إن التوسل بالأنبياء والصالحين لا معنى له، لأنهم أموات، والميّت لايسمع فلا معنى لأن يقال: يارسول اللّه أغثنى، أو أتوجّه بك إلى اللّه ليقضى لى حاجتى.

والجواب: لقد تعرّضنا فى بحث الشفاعة لهذه المسألة بالتفصيل وأثبتنا حياة الأنبياء- بعد الموت- فنعيد هنا باختصار نقول أنه: «لا مانع شرعاً ولا-عقلًا من أن يسمع النبى أو الولى كلام من يتوسل به وهو فى القبر، امّا النبى صلى الله عليه و آله فلأنه حىّ أحياه اللّه بعد موته كما ثبت من حديث أنس عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنه قال: الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلّون (۱).

ولأنه ثبت حديث: ما من رجل مسلم يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلِّم عليه إلّاعرفه وردّ عليه السلام (۲).

وقال البيهقى: «وفى حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة،

۱- صححه البيهقى فى جزء حياة الأنبياء وأورده الحافظ ابن حجر على انه ثابت فى فتح البارى، وذلك لما التزمه أنّ ما يذكره من الأحاديث شرحاً أو تتمّة لحديثٍ فى متن البخارى فهو صحيح أو حسن. انظر المقالات السنية: ۱۱۴.

۲- رواه المناوى فى شرح الجامع الصغير، عن ابن عساكر، وأفاد الحافظ العراقى بأن ابن عبدالبر خرّجه فى التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عبّاس وقد صحّحه أيضاً عبدالحق. انظر المقالات السنية: ۱۱۴.

ص: ۷۵

أنّه صلی الله علیه و آله لقیهم ببیت المقدس فحضرت الصلاهٔ فَأمّهم نبیّنا صلی الله علیه و آله ثم اجتمعوا فی بیت المقدس.

وفی حدیث أبی ذر ومالک بن صعصعهٔ فی قصهٔ الاسراء انّه لقیهم بالسماوات. وطرق ذلک صحیحهٔ، فیحمل علی انه رأی موسی قائماً یصلّی فی قبره، ثم عرج به هو ومن ذکر من الأنبیاء إلی السماوات فلقیهم النبی صلی الله علیه و آله ثم اجتمعوا فی بیت المقدس فحضرت الصلاهٔ فأمّهم نبینا. قال: وصلاتهم فی أوقات مختلفهٔ وفی أماکن مختلفهٔ لا یرده العقل، وقد ثبت به النقل فدلّ ذلک علی حیاتهم» (۱).

إذن: ثبت انّهم أحیاء ویسمعون من یسلّم علیهم «من صلّی علیَّ عندَ قبری سمعتهُ» ومعروضهٔ علیهم صلاهٔ من یصلّی علیهم: «اکثروا علی من الصلاهٔ فی یوم الجمعهٔ فان صلاتکم معروضهٔ علیّ». ولا مانع (۲) من الاستغاثهٔ بالحی وطلب الاستغفار منه.. یا أبانا استغفر لنا ذنوبنا (۳) اذهبوا بقمیصی هذا فألقوه علی وجه أبی یأتِ بصیراً (۴).

قال القسطلانی: «ینبغی للزائر أن یکثر من الدعاء والتضرع والاستغاثهٔ والتشفع والتوسل به صلی الله علیه و آله فجدیر بمن استشفع به أن یشفعه اللّه تعالی فیه... ثم إن کلًا من الاستغاثهٔ والتوسل والتشفع والتوجه

۱- انظر المقالات السنیهٔ فی کشف ضلالات ابن تیمیهٔ: ۱۱۴.

۲- عن عبادهٔ بن صامت: قال أبو بکر قوموا بنا نستغیث برسول اللّه من هذا المنافق فقالرسول اللّه صلی الله علیه و آله: لایقام لی انّما یقام للّهتبارک وتعالی. مسند أحمد ۵: ۳۱۷

۳- یوسف: ۹۷.

۴- یوسف: ۹۲.

ص: ۷۶

بالنبی- کما ذکره فی تحقیق النصرة ومصباح الظلام- واقع فی کل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، فی مدة حیاته فی الدنیا وبعد موته فی مدة البرزخ وبعد البعث...» (۱).

استغاثة الضریر بقبر النبی صلی الله علیه و آله بأمر من عثمان بن حنیف

وممّا یدل بوضوح علی ان مسألة الاستغاثة بقبر النبی صلی الله علیه و آله کان أمراً دارجاً بین المسلمین بمن فیهم الصحابة؛ قصة عثمان بن حُنیف، التی أوردها الطبرانی عن أبی أمامة بن سهل بن حنیف عن عمه عثمان بن حنیف أن رجلًا کان یختلف إلی عثمان بن عفان فی حاجة له، فکان عثمان لا یلتفت إلیه ولا ینظر فی حاجته، فلقی ابن حنیف فشکی ذلک إلیه فقال له عثمان بن حنیف: ائتِ المیضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلِّ فیه رکعتین ثم قل: اللهمّ انّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّنا محمّد نبی الرحمة، یامحمّد إنی أتوجّه بک إلی ربّی فتقضی لی حاجتی، وتذکر حاجتک ورُح حتی أروح معک، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتی باب عثمان بن عفّان، فجاء البوّاب حتی أخذ بیده، فأدخله علی عثمان، فأجلسه معه علی الطنفسة فقال: حاجتک؟ فذکر حاجته، وقضاها له. ثم قال له: ما ذکرت حاجتک حتی کان الساعة وقال: ما کانت لک من حاجة، فاذکرها، ثم ان الرجل خرج من عنده فلقی عثمان بن حنیف فقال له: جزاک اللّه خیراً، ما کان ینظر فی حاجتی ولا یلتفت

۱- المواهب اللدنیة ۳: ۴۱۷.

ص: ۷۷

إليَّ حتى كلَّمَتَهُ فيّ. فقال عثمان بن حنيف: واللَّه ما كلّمتُه ولكن شهدتُ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأتاه ضرير (۱)، فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبى فتصبر» فقال: يارسول اللَّه ليس لى قائد وقد شق عليّ، فقال النبى صلى الله عليه و آله ائتِ الميضاة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم ادعُ بهذه الدعوات» قال ابن حنيف: فواللَّه ما تفرّقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط (۲).

ان المعلق السلفى بعد ان يعترف بصحّة هذا الحديث ويقول:

«لاشك فى صحّة الحديث المرفوع» ولكنه يشكك فى الاستدلال بها على التوسل، فالمعلق متأثر بأفكار ا لألبانى صاحب رسالة «التوسل» وافكار الوهابية ومزاعمهم من حرمة التوسل بالميت وانه شرك. فإذا واجه هكذا روايات وأحاديث، فإنّه لا يطيق تحمّلها ويصعب عليه قبولها، وإن صرّح أهل الفن كالطبرانى بصحّة الحديث وإن كان الآمر بالتوسل صحابى جليل، اعتمد عليه عليّ عليه السلام وعمر (۳). وروى له الترمذى والنسائى وابن ماجه.

والعجيب من دعواهم وانتحالهم «بالسلفية» ومع ذلك يتركون ما ثبت وصحّ عن السلف- كعثمان بن حنيف؟!!

وهل من المعقول: أن يتبنّى الإنسان عقيدة ثم يفتّش عن أحاديث

۱- إشارة إلى ما أورده أحمد ۴: ۱۳۸ بسند صحيح. وهو حديث الأعمى الذى ردّ بصره بالدعاءالذى علّمه إيّاه. وأخرجه الترمذى ۵: ۵۶۹ ح ۳۵۷۸ وابن ماجه ۱: ۴۴۱ والحاكم ۱: ۳۱۳.

۲- معجم الطبرانى ۹: ۳۰ الرقم ۸۳۱۱ المعجم الصغير ۱: ۱۸۳، وقال: الحديث صحيح.

۳- سير أعلام النبلاء ۲: ۳۲۰.

ص: ۷۸

تؤيِّد وتثبت هـذه العقيـدة؟! أم العكس هو الصحيح، أي لابـد وأن نسـتخلص العقيدة- سواء في مسألة التوسل أو أمر آخر- من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة من طريق السلف!.

الاستغاثة بالقبور:

جرت سيرة المسلمين قديماً وحديثاً على الاستغاثة بقبور الأنبياء والصالحين وأفتى العلماء بجواز ذلك وفيما يلي نماذج منه:

١- الاستغاثة بقبر النبي صلى الله عليه و آله:

- عن الدارمي: «... قحط أهلُ المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه و آله فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نَبَتَ العشب وسَمَنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فَسُمّي عام الفتق» (١).

- روى ابن أبي شيبة، بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار- وكان خازن عمر- قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللَّه استسق لُامّتك فانّهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: إئتِ عمر... الحديث وقد روى سيف في الفتوح: ان الذي رأى في المنام المذكور هو «بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة» (٢).

١- سنن الدارمي ١: ۵۶، سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣۴٧. وفاء الوفاء ۴: ١٣٧۴.

٢- فتح الباري ٢: ۵٧٧، وفاء الوفاء ۴: ١٣٧٢.

ص: ٧٩

٢- مشهد الإمام الحسين عليه السلام بالقاهرة:

قال الحمزاوى العـدوى المتوفى ١٣٠٣ بعد كلام طويل حول مشـهد الإمام الحسـين: واعلم أنه ينبغى كثرة الزيارة لهذا المشـهد العظيم متوسّـلًا به إلى اللَّه ويطلب من هـذا الإمـام مـا كـان يطلب منه فى حياته، فانّه باب تفريـج الكروب فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب ويصل إلى اللَّه بأنواره والتوسل به كلُ قلب محجوب. ومن ذلك ما وقع لسـيدى العارف باللَّه تعالى محمد شلبى شارح «العزية» الشهير بابن الست، وهو انّه قد سـرقت كتُبه جميعها من بيته قال: فتحيّر عقله واشتد كربه، فأتى إلى مقام ولىٍّ نعمتنا الحسين عليه السلام منشداً لأبيات اسـتغاث بها فتوجّه إلى بيته بعـد الزيارة ومكث فى المقام مـدّة، فوجـد كتبه فى محلّها قـد حضـرت من غير نقص لكتاب منها» (١)

٣- استغاثة الضرير بالمشهد الشريف:

عقد الشبراوى الشافعى المتوفى ١١٧٢ فى كتابه الاتحاف بحب الأشـراف باباً فى ذلك المشـهد الشريف- رأس الحسين عليه السلام- وذكر فيه زيـارته وشـطراً من الكرامـات له منهـا: ان رجلًا يقـال له شـمس الـدين القعوينى كان ساكناً بالقرب من المشـهد وكان معلَّم الكسوة الشـريفة، حصل له ضـرر فى عينيه فكفّ بصره وكان كلّ يوم إذا صلّى الصبح فى مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف على باب الضريح الشريف، ويقول:

ياسيدى أنا جارك قد كفّ بصرى وأطلب من اللَّه بواسطتك أن يردّ

١- مشارق الأنوار للحمزاوى ١: ١٩٧، انظر الغدير ٥: ١٩١.

ص: ۸۰

علیَّ ولو عیناً واحدهٔ، فبینما هو نائم ذات لیلهٔ إذ رأی جماعهٔ أتوا إلی المشـهد الشریف فسأل عنهم، فقیل له: هذا النبی صلی الله علیه و آله والصـحابهٔ معه جاؤا لزیارهٔ الحسـین علیه السـلام، فدخل معهم ثم قال ما کان یقوله فی الیقظهٔ، فالتفت الحسـین إلی جدّه صلی الله علیه و آله وذکر له ذلـک علی سبیل الشـفاعهٔ عنـده فی الرجل، فقال النّبی صـلی الله علیه و آله للإمام علی علیه السـلام: یاعلی کحِّله. فقال: سـمعاً وطاعـهٔ وأبرز من یـده مکحلـهٔ ومروداً وقال له: تقـدّم حتی أُکحلک فتقـدم فلوَّث المرود ووضـعه فی عینه الیمنی، فأحسَّ بحرقانٍ عظیم، فصـرخ صـرخهٔ عظیمـهٔ فاستیقظ منها وهو یجـد حرارهٔ الکحل فی عینه ففتحت عینه الیمنی فصار ینظر بها إلی أن مات» (۱).

۴- ابن حبان یستشفع بقبر الرضا علیه السلام

اشارهٔ

قال ابن حبان: «مات علی بن موسـی الرضا بطوس من شـربهٔ سـقاه إیّاها المأمون فمات من ساعته... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور یزار.. قـد زرتُهُ مراراً کثیراً، ومـا حلَّتْ بی شـدّهٔ فی وقت مقامی بطوس فزرت قبر علی بن موسـی الرضا صـلوات اللَّه علی جـدّه وعلیه، ودعـوت اللَّه ازالتهـا عنّی إلّااسـتجیب لی وزالـت عنّی تلـک الشـدّهٔ، وهـذا شـیء جرّبتهُ مراراً فوجـدتُه کـذلک، أماتنـا اللَّه علی محبّهٔ المصطفی وأهل بیته صلّی اللَّه علیه وعلیهم أجمعین» (۲).

۱- الاتحاف بحب الاشراف: ۷۵- ۱۱۰، الغدیر ۵: ۱۸۷.

۲- کتاب الثقات ۶: ۴۰۲، الأنساب للسمعانی ۱: ۵۱۷.

ص: ۸۱

التعريف بابن حبان:

قالوا فيه: «انه الإمام العلّامة، الحافظ المجوّد شيخ خراسان، صاحب الكتب المشهورة ولد سنة بضع وسبعين ومئتين. وكان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين وحفّاظ الآثار... صنف المسند الصحيح يعنى به: كتاب الأنواع والتقاسيم وكتاب التاريخ وكتاب الضعفاء، وفقَّه الناس بسمرقند.

وثّقه أبو بكر الخطيب وقال: كان ثقة نبيلًا فهماً.

كما مدحه الحاكم النيسابورى بقوله: كان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال.. أقام عندنا بنيسابور.. وقُرى عليه جملة من مصنّفاته..» (۱).

هل يمكن لابن تيمية وأتباعه رميه بالشرك والكفر والجاهلية!! لأنه كان يزور الرضا عليه السلام مراراً ويستغيث به؟!

۵- ابن خزيمة يتضرّع عند قبر الإمام الرضا عليه السلام

اشارة

قال محمد بن مؤمل (۲): خرجنا مع إمام أهل الحديث ابى بكر بن

۱- سير أعلام النبلاء ۱۶: ۹۲، انظر ميزان الاعتدال ۳: ۵۰۶، النجوم الزاهرة ۳: ۳۴۲، طبقات السُبكى ۳: ۱۳۱، الأنساب ۲: ۲۰۹، الوافى بالوفيات ۲: ۳۱۷.

۲- هو أبو بكر الماسرجسى المتوفى عام ۳۵۰ ه الإمام رئيس نيسابور أحد البلغاء والفصحاء، وقد بنى داراً للمحدثين وادرَّ عليهم الأرزاق، وروى عنه السّلمى والحاكم وسعيد بن محمد بن محمد بن عبدان، سير أعلام النبلاء ۱۶: ۲۳.

ص: ۸۲

خزیمة وعدیلة ابن علی الثقفی مع جماعة من مشایخنا وهم إذ ذاک متوافرون إلی زیارة قبر علی بن موسی الرضا بطوس، قال: فرأیت من تعظیمه- یعنی ابن خزیمة- لتلک البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحیّرنا» (۱).

التعریف بابن خزیمة:

قال الذهبی: إنّه شیخ الإسلام، إمام الأئمة، الحافظ، الحجة، الفقیه، صاحب التصانیف، ولد عام ثلاث وعشرین ومئتین، وعنی فی حداثته بالحدیث والفقه حتی صار یُضرب به المثل فی سَعة العلم والاتقان.

وقد حدّث عنه البخاری ومسلم فی غیر الصحیحین (۲).

إن اللَّه لیدفع بالبلاء عن أهل هذه المدینة لمکان أبی بکر ابن خزیمة.

وقال الدارقطنی: کان إماماً ثبتاً، معدوم النظیر.

وقالوا عنه: إنّه رجلٌ یُحیی سنّة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله.

وقالوا عنه: انه یستخرج النُکت من حدیث رسول للَّهصلی الله علیه و آله بالمنقاش.

وکان هذا الإمام جِهبذاً بصیراً بالرجال. وکان له عظمة فی النفوس وجلالة فی القلوب لعلمه ودینه، واتّباعه السنّة (۳).

۱- تهذیب التهذیب ۷: ۳۳۹.

۲- سیر أعلام النبلاء ۱۴: ۳۶۵.

۳- سیر أعلام النبلاء ۱۴: ۳۷۴- ۳۷۷.

ص: ۸۳

وقال ابن أبی حاتم فیه: هو إمام یُقتدی به.

هل یتجرأ ابن تیمیهٔ أن یرمی ابن خزیمهٔ بالکفر والشرک لمجرّد إستغاثته وتضرّعه بقبر الإمام الرضا علیه السلام؟!

وهل لابن تیمیهٔ أن یُبدی الرأی فی أمثال ابن خزیمهٔ؟!

نماذج من الاستغاثهٔ بالقبور

۱- قبر أبی أیوب الأنصاری المتوفی عام ۵۲ بالروم:

قال الحاکم: یتعاهدون قبره ویزورونه ویستسقون به إذا قحطوا» (۱).

۲- قبر الإمام موسی بن جعفر علیه السلام:

عن شیخ الحنابلهٔ- أبی علی الخلّال- ما همّنی أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسی بن جعفر فتوسلتُ به إلّاسهّل اللَّه تعالی لی ما أُحبُّ (۲).

۳- قبر أبی حنیفهٔ:

«إن الإمام الشافعی أیّام کان هو ببغداد کان یتوسل بالإمام أبی حنیفهٔ ویجیء إلی ضریحه یزور فیسلّم علیه ثم یتوسل إلی اللَّه تعالی به فی قضاء حاجاته.

وقال: قد ثبت ان الامام أحمد توسّل بالإمام الشافعی حتی تعجَّب ابنه عبداللَّه بن الامام أحمد، فقال له أبوه: إن الشافعی کالشمس للناس وکالعافیهٔ للبدن، ولمّا بلغ الإمام الشافعی: أن أهل المغرب

۱- مستدرک الحاکم ۳: ۵۱۸، الرقم ۵۹۲۹/ ۱۵۲۷، صفهٔ الصفوهٔ ۱: ۴۷۰.

۲- تاریخ بغداد ۱: ۱۲۰.

ص: ۸۴

يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم قال الشافعى: «انى لأتبرّك بأبى حنيفة وأجيئ إلى قبره كل يوم فإذا عرضت لى حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت اللَّه تعالى الحاجة عنده». (۱) ۴- التوسل بقبر أحمد بن حنبل:

حكى ابن الجوزى فى مناقب أحمد، عن عبداللَّه بن موسى قال:

خرجتُ أنا وأبى فى ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة فقال أبى:

يابنى تعال نتوسل إلى اللَّه تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضىء لنا الطريق، فإنى منذ ثلاثين سنة ما توسلت به إلّاقُضيت حاجتى، فدعا أبى وأمّنتُ على دعائه، فأضائت السماء كأنّها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه» (۲).

۵- قبر ابن فورك الاصبهانى المتوفى ۴۰۶ ه

«دفن بالحيرة من نيسابور، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده» (۳).

أقول: هو محمد بن الحسن، شيخ المتكلمين، وكان اشعرياً، ولكن نسب الذهبىوابن حزم اليه ما لا يصدر من مسلم، ولو صدر كان فى حدّ الارتداد (۴).

۱- خلاصة الكلام: ۲۵۲ للسيد زينى دحلان، تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳، مناقب أبى حنيفة للخوارزمى ۲: ۱۹۹، انظر الغدير ۵: ۱۹۴.

۲- مناقب أحمد: ۲۹۷، لابن الجوزى.

۳- وفيات الاعيان ۴: ۲۷۲، سير أعلام النبلاء ۱۷: ۲۱۵.

۴- انظر سير أعلام النبلاء ۱۷: ۲۱۵، وطبقات الشافعية ۴: ۱۳۰.

ص: ۸۵

۶- قبر الشيخ أحمد بن علوان: ت ۷۵۰ ه

قال اليافعى: «ومن كراماته ان ذرية الفقهاء الذين كانوا ينكرون عليه صاروا يلوذون عند النوائب بقبره ويستجيرون من خوف السلطان» (۱).

۷- الاستسقاء بقبر البخارى:

۱- ومن جميل ما يذكره العلماء: ان سمرقند استسقت واستغاثت بقبر البخارى عام ۴۶۴ ه يعنى قبل ولادة ابن تيمية صاحب المزاعم بثلاثمائة سنة فعن السُبكى: «قُحط المطر عندنا بسمرقند فى بعض الأعوام، فاستسقى الناس مراراً فلم يُسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضى سَمرقند، فقال له: انى قد رأيت رأياً أعرضه عليك.

قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج، ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخارى، ونستسقى عنده، فعسى اللَّه أن يسقينا، فقال القاضى: نِعمَ ما رأيت. فخرج القاضى، والناس معه واستسقى القاضى بالناس، وبكى الناس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه فأرسل اللَّه تعالى السماء بماء عظيم غزير، فقام الناس من أجله بخرتنك (۲) سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند، من كثرة المطر وغزارته، وبين سمرقند وخَرتَنك نحو ثلاثة أميال (۳).

لعل ابن تيمية لم يطّلع على هذه الاستغاثة والاستشفاع، وإلا

۱- مرآة الجنان ۴: ۳۵۷.

۲- من قرى سمرقند./ معجم البلدان ۲: ۳۵۶.

۳- طبقات الشافعية ۲: ۲۳۴، سير أعلام النبلاء ۱۲: ۴۶۹.

ص: ۸۶

لرماهم بالكفر والشرك. أو أن هذه القضية غير ثابتة عنده!!

كلام الإمام القيروانى المالكى المتوفى ۷۳۷ ه فى التوسل بالقبور:

قال فى فصل زيارة القبور: اما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين فيأتى إليهم الزائر، ويتعيّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطراب والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلون ولا يتغيّرون، ثم يثنى على اللَّه تعالى بما هو أهله ثم يصلّى عليهم... ثم يتوسل إلى اللَّه تعالى بهم فى قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بِالإجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنّه فى ذلك. فانّهم باب اللَّه المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم. ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه فانّهم السادة الكرام والكرام لا يردّون من سألهم ولا من توسّل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم.

وامّا فى زيارة سيّد الأوّلين والآخرين، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعنى من الانكسار والذل والمسكنة، لأنّه الشافع المشفع الذى لا تردُّ شفاعتهُ، ولا يخيّب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان أو استغاث به.. فمن توسل به، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه، فلا يُردُّ ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار..

ص: ۸۷

فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا..» (۱).

والحاصل أن هذه النصوص والشواهد التاريخية تدل على أن الاستغاثة بالميت والدعاء عند قبره والتوسل به كان أمراً شائعاً بين المسلمين على صعيد الخواص والعوام فهذا الإمام الشافعي يتوسل بأبى حنيفة فى قضاء حاجاته. وذاك شيخ الحنابلة ما أهمّه أمر إلّاتوسّل بقبر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وثالث هو الإمام أحمد يتوسل بالإمام الشافعي فى قضاء حوائجه، وهذان ابن خزيمة وابن حبّان يتوسّلان بقبر الإمام الرضا عليه السلام ويستغيثانه فى إنجاز الحوائج وهؤلاء أهالى سمرقند يستسقون بقبر البخارى. وهذه عائشة تأمر المسلمين بأن يستغيثوا بقبر النبى صلى الله عليه و آله للاستسقاء. فهذه شخصيات من الصحابة، وأكابر أهل السنّة من الفقهاء وغيرهم؛ يستغيثون بقبور الأنبياء والصحابة والأولياء والصالحين!! فهل يتجرأ ابن تيمية التقول عليهم بأنّهم مشركون، كفّار!!؟

ولقد أجاد وأفاد الشيخ سلامة العزامى حيث قال:

«لقد تعدّى هذا الرجل- ابن تيمية- حتى على الجناب المحمّدى فقال: إنَّ شدّ الرحال إلى زيارته معصية، وانّ من ناداه مستغيثاً به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك فتارة يجعله شركاً أصغر، واخرى يجعله شركاً أكبر. وإن كان المستغيث ممتلئ القلب بأنّه لا

۱- المدخل فى فصل زيارة القبور ۱: ۲۵۷، الغدير ۵: ۱۱۱.

ص: ۸۸

خـالق ولاـ مـؤثِّر إلّـااللّه، وإنّ النـبی صـلی الله علیه و آله انّمـا ترفع إلیه الحوائـج ویسـتغاث به، علی ان اللّه جعله منبع کـل خیر، مقبول الشفاعهٔ مستجاب الدعاء، کما هی عقیدهٔ جمیع المسلمین مهما کانوا من العامهٔ» (۱).

من قصص الاستغاثهٔ

اشارهٔ

تعرّض السمهودی فی خاتمهٔ کتابه لنبذهٍ ممّا وقع لمن استغاث بقبر النبی صلی الله علیه و آله أو طلب منه شیئاً عند قبره. فأُعطی مطلوبه ونال مرغوبه، وقدنقلها من کتاب «مصباح الظلام (۲) فی المستغیثین بخیر الأنام» للإمام الحافظ سلیمان بن موسی بن سالم البلنسی (۳) المتوفی عام ۶۳۴ ه» (۴).

۱- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۵.

۲- لقد فات المعلّق «علی سیر أعلام النبلاء» التعلیق علی هذا الکتاب الذی یبحث فی موضوعالاستشفاع والاستغاثهٔ بقبر النبی صلی الله علیه و آله، کمـا هو دأبه فی التعلیق علی کـل مـا یرد هنـا ولا یلائم مزاعم الوهابیـهٔ ومعتقـداتهم، کما فی تعلیقاته فی ترجمـهٔ الکرخی والسیّدهٔ نفیسهٔ وابی عوانهٔ و...

ولعـلّ حضـرهٔ المعلّق لم یطّلع علی محتوی الکتـاب ولم یعرف مضـمونه، وإلّـا لمـا سـلم الکتـاب ولا الکاتب من سـطوات هـذا المعلّق المتقی الزاهد! فالحمد للّهعلی ذلک.

ولـذا تراه یمـدح المؤلف وموقفه الجهادی إلی أن نال الشـهادهٔ. ویقول فی حقّه: هکذا علماء الامّهٔ والمحدِّثون خاصهٔ، أوّل المدافعین عن بلاد الإسلام وحفظ بیضته» سیر أعلام النبلاء ۲۳: ۱۳۴.

۳- وإن کان السـمهودی قد ذکر إسم مؤلِّف هذا الکتاب هکذا محمد بن موسـی بن نعمان البلنسـی ولعله کتابان بهذا الأسم لمؤلفین. ولقد أثبت الچلبی هذا الکتاب لسلیمان بن موسی بن سالم البلنسی ولمحمد بن موسی التلمسانی انظر کشف الظنون ۲: ۱۷۰۶.

۴- قـال ابن عمـاد «أبو الربیع الکلاـعی سـلیمان بن موسـی بن سـالم البلنسـی الحافظ الکبیر الثقـهٔ صاحب التصانیف وبقیـهٔ أعلام الأثر بالأندلس. ولد سنهٔ خمس وستین وخمسمائهٔ وسمع ابن زرقون.

قال الأبار: کان بصـیراً بالحـدیث عاقلًا عارفاً بالجرح والتعـدیل ذاکراً للموالـد والوفیات، یتقـدّم أهل زمانه فی ذلک خصوصاً من تأخّر زمانه ولا نظیر لخطّه فی الإتقان والضبط...» شذرات الذهب ۵: ۱۶۴.

وقال الذهبی: «الإمام العلّامهٔ الحافظ المُجْود الأدیب البلیغ شیخ الحدیث والبلاغهٔ بالأندلس أبو الربیع سلیمان بن موسی البلنسی.. وکان من کبار أئمّهٔ الحدیث.

ونقل عن أبی عبداللّه بن الآبار فی تاریخه: انّه کان إماماً فی صناعهٔ الحدیث.. وله تصانیف مفیدهٔ فی فنون عدیدهٔ:

منهـا: کتاب مصـباح الظلم.. انتفعتُ به فی الحـدیث کل الانتفاع، وأخـذت عنه کثیراً. ونقل عن الحافظ ابن مُسـدی: لم ألْقِ مثله جلالهٔ ونُبلًا وریاسهٔ وفضـلًا، کان إماماً مبرَّزاً فی فنون من منقول ومعقول ومنثور وموزون جامعاً للفضائل برع فی علوم القرآن والتجوید.. وهو ختام الحفاظ..

وعن ابن الآبـار: کـان یحـدّثنا أن السـبعین منتهی عمره لرؤیـا رآهـا وهو آخر الحفّاظ والبلغاء بالأنـدلس. سـیر أعلام النبلاء ۲۳: ۱۳۴،

النجوم الزاهرة ۶: ۲۹۸

ص: ۸۹

۱- قصّهٔ والد ابن المنکدر:

«اتفق الجماعهٔ من علماء سلف هذه الامّهٔ من أئمّهٔ المحدِّثین والصوفیهٔ والعلماء باللَّه المحقّقین. قال محمد بن المنکدر: أودع رجل أبی ثمانین دیناراً وخرج للجهاد، وقال لأبی: إن احتجت أَنفقها إلی أن أعود.

وأصاب الناس جهدٌ من الغلاء، فأنفق أبی الدنانیر، فقدم الرجل وطلب ماله، فقال له أبی: عُد إلیَّ غداً، وبات فی المسجد یلوذ بقبر النبیّ صلی الله علیه و آله مرّهٔ وبمنبره مرّهٔ، حتّی کاد أن یصبح، یستغیث بقبر النبیّ صلی الله علیه و آله

ص: ۹۰

فبينما هو كـذلك وإذا بشـخص فى الظلام يقول: دونكها يا أبا محمد، فمدَّ أبى يده فإذا هو بصُرَّةٍ فيها ثمانون ديناراً، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه» (۱).

۲- النبی صلی الله علیه و آله یأمر بالطعام إلى الطبرانی:

«قال الإمام أبو بكر بن المقرى (۲): كنت أنـا والطبرانى وأبو الشيخ فى حرم رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله وكنّا على حالته، وأثَّر فينا الجوع، وواصـلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضـرتُ قبر النبى صـلى الله عليه و آله فقلت: يارسول اللَّه الجوع، وانصرفتُ، فقال لى أبو القـاسم: اجلس فأمـا أن يكون الرزق أو الموت، قـال أبو بكر: فقمتُ أنـا وأبو الشـيخ؛ والطبرانى جالس ينظر فى شـىء، فحضـر بالباب علوى، فـدقَّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان مع كل واحـد زنبيل فيه شـىء كثير فجلسـنا وأكلنا وظننا أن الباقى يأخـذه الغلام، فولّى وترك عندنا الباقى، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى: ياقوم أشـكوتم إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فإنّى رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى المنام فأمرنى أن أحمل بشىء إليكم (۳).

۳- النصف الآخر من الرغيف فى اليد:

«وقال ابن الجلاد: دخلتُ مدينة النبىّ صلى الله عليه و آله وبى فاقة، فتقدّمت إلى

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

۲- قالوا فيه: انه فاق سائر نظائره مع إتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وظهور نسكهتوفى سنة ۳۲۴ ه، سير أعلام النبلاء ۱۵: ۲۷۳، طبقات الشافعية ۳: ۵۸.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

ص: ۹۱

القبر وقلت: ضيفك، فغفوتُ فرأيت النبيّ صلى الله عليه و آله فأعطانى رغيفاً، فأكلتُ نصفه، وانتبهت وبيدى النصف الآخر (۱).

۴- الدراهم المباركة:

«قال أبو عبداللَّه محمد بن أبى زرعة الصوفى: سافرت مع أبى ومع أبى عبداللَّه بن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينة الرسول صلى الله عليه و آله، وبتنا طاوِين، وكنتُ دون البلوغ، فكنتُ أجيئ إلى أبى غير دفعة وأقول: أنا جائع، فأتى أبى الحظيرة وقال: يارسول اللَّه أنا ضيفك الليلة، وجلس على المراقبة، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه فقال: رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فوضع فى يدى دراهم، وفتح يده، فإذا فيها دراهم، وبارك اللَّه فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنّا ننفق منها (۲).

۵- شربة رويّة من قدح لبن!

«وسمعت الشيخ أبا عبداللَّه محمد بن أبى الأمان يقول: كنت بمدينة النبيّ صلى الله عليه و آله خلف محراب فاطمة عليها السلام وكان الشريف مكثر القاسمى قائماً خلف المحراب المذكور، فانتبه فجاء إلى النبى صلى الله عليه و آله وعاد علينا متبسّماً، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوى: فيمَ تبسمت؟ فقال:

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۰.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۱.

ص: ۹۲

کانت بی فاقـهٔ، فخرجت من بیتی فأتیت بیت فاطمهٔ علیها السـلام فاسـتغثت بالنبی صـلی الله علیه و آله وقلت: إنّی جائع، فنمتُ فرأیت النبی صلی الله علیه و آله فأعطانی قدح لبن فشربت حتی رویت..» (۱).

۶- ثلاثهٔ أمداد من التمر الطیّب!

«عن أبی إسـحاق إبراهیم بن سعید: کنت بمدینهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله ومعی ثلاثهٔ من الفقراء فأصابتنا فاقهٔ، فجئت إلی النبیّ صلی الله علیه و آله فقلت:

یارسول اللَّه لیس لنا شیء. ویکفینا ثلاثهٔ أمداد من أی شیء کان.

فتلقانی رجل فدفع إلیَّ ثلاثهٔ أمداد من التمر الطیّب» (۲).

۷- الثرید أمنیهٔ جائع علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله!

«وسـمعتُ الشـریف أبا محمد عبد السـلام بن عبدالرحمن الحسینی الفاسی یقول: أقمتُ بمدینهٔ النبی صلی الله علیه و آله ثلاثهٔ أیام لم أسـتطعم فیها، فأتیتُ عند منبره صـلی الله علیه و آله فرکعت رکعتین وقلت: یاجدّی جعت وأتمنی علیک ثردهٔ، ثم غلبتنی عینی فنمت، فبینا أنا نائم وإذا برجل یوقظنی، فانتبهت فرأیت معه قدحاً من خشب وفیه ثرید وسـمن ولحم وأفاویه، فقال لی: کُلْ، فقلت له: من أین هذا؟ فقال: إنّ صغاری لهم ثلاثهٔ أیام یتمنّون هذا الطعام، فلما کان الیوم، فتح اللَّه لی بشیء عملت به هذا، ثم

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

ص: ۹۳

نمت فرأیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی النوم وهو یقول: ان أحد إخوانک تمنّی علیَّ هذا الطعام فأطعمه منه» (۱).

۸- امنیهٔ اخری لجائع آخر!

«سمعت عبداللَّه بن الحسن الدمیاطی یقول: حکی لی الشیخ الصالح عبدالقادر التنیسی بثغر دمیاط قال:.. دخلت مدینهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله وسلّمت علی النبی صلی الله علیه و آله وشکوت له ضرری من الجوع، واشتهیت علیه الطعام من البر واللحم والتمر، وتقدّمت بعد الزیارهٔ للروضهٔ فصلّیت فیها، وبتّ فیها، فإذا شخص یوقظنی من النوم، فانتبهتُ ومضیتُ معه، وکان شابّاً جمیلًا خَلْقاً وخُلقاً، فقدَّم إلیَّ جفنهٔ ثرید وعلیها شاهٔ وأطباق من أنواع التمر صیحانی وغیره وخبزاً کثیراً من جملته خبز أقراص سویق النبق، فأکلتُ فملأ لی جرابی لحماً وخبزاً وتمراً، وقال:

کنت نائماً بعد صلاهٔ الضحی فرأیت النبی صلی الله علیه و آله فی المنام وأمرنی أن أفعل لک هذا، ودلَّنی علیک، وعرّفنی مکانک بالروضهٔ، وقال لی: إنّک اشتهیت هذا وأردته» (۲).

۹- أضاف المؤلِّف- صاحب کتاب مصباح الظلام- بعد نقل هذه القصص من التوسّلات والاستغاثات بالنبیّ الکریم صلی الله علیه و آله: «إنّه قد وقع فی کثیر ممّا ذکر وأمثاله أن الذی یأمره صلی الله علیه و آله فی ذلک انّما یکون من الذریّهٔ

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۳.

ص: ۹۴

الشريفة، لاسيما إذا كان المتناوَل طعاماً، لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القِرَى البداءة بأنفسهم ثم بمن يكون منهم، فاقتضى خُلُقه الكريم أن إعطاء سائل القِرى يكون منه ومن ذرّيته الكريمة» (۱).

ثم بعد هذه المجموعة من قصص من شخصيات كالطبرانى وابن المقرئ وابن المنكدر وغيرهم هل يبقى مجال لابن تيمية أن يدعى ان التوسل والاستغاثة بالنبى صلى الله عليه و آله شرك؟!!

وهل مؤلّف كتاب مصباح الظلام مشرك، وهل جمع فى كتابه هذا:

الكفريات والشرك!

وهل يتجرأ ابن تيمية ومن تبعه أن يرمى المؤلِّف البلنسى بالشرك، وهو الحافظ الكبير الثقة- كما قاله ابن عماد والبصير بالحديث والمتقدّم على أهل زمانه كما قاله الأبار، والإمام المبرز فى فنون المعقول والمنقول كما قاله ابن مسدى. والإمام العلّامة الحافظ شيخ الحديث كما قاله الذهبى. فهل يُصغى إلى مزاعم ابن تيمية بعد هذا؟

السمهودى يروى قصّة عن نفسه:

إنّ السمهودى بعد أن أورد قصصاً عن توسل المحدّثين والفقهاء بقبر النبى صلى الله عليه و آله- نقلًا عن كتاب مصباح الظلام- قال: «والحكايات فى هذا الباب كثيرة، بل وقع لى شيء منها: أنى كنت بالمسجد النبوى عند قدوم الحاج المصرى للزيارة، وفى يدى مفتاح الخلوة التى فيها كتبى

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۵.

ص: ۹۵

بالمسجد، فمرّ بی بعض علماء المصریین ممّن کان یقرأ علی بعض مشایخی، فسلّمت علیه، فسألنی أن أمشی معه إلی الروضة الشریفة، وأقف معه بین یدی النبی صلی الله علیه و آله ففعلت، ثم رجعت فلم أجد المفتاح، وتطلّبتُهُ فی الأماکن التی مشیت إلیها فلم أجده، وشقّ علیَّ ذهابه فی ذلک الوقت الضیّق مع حاجتی إلیه، فجئت إلی النبی صلی الله علیه و آله وقلت:

یاسیدی یارسول اللّه ذهب مفتاح الخلوة، وأنا محتاج إلیه وأریده من بابک، ثم رجعت فرأیت شخصاً قاصداً الخلوة، فظننتهُ بعض من أعرفه، فمشیت إلیه، فلم أجده إیّاه، ووجدت صغیراً لا أعرفه بقرب الخلوة بیده المفتاح، فقلت له: من أین لک هذا؟ فقال: وجدتُهُ عند الوجه الشریف، فأخذتُه منه وغیر ذلک مما یطول ذکره» (۱).

۱- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۸۵.

ص: ۹۶

صفحه سفید

ص: ۹۷

الفصل الرابع: زيارة القبور

اشارة

زيارة القبور

۱- رأى ابن تيمية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله

۲- مناقشة المدعى

۳- الأحاديث والزيارة

۴- سيرة الصحابة فى الزيارة

۵- حديث شد الرحال

۶- موقف السنّة من مزاعم ابن تيمية

۷- زيارة القبور والمشاهد

۸- أحاديث فى زيارة المشاهد

۹- سيرة الصحابة والتابعين

۱۰- القبور المقصودة بالزيارة

۱۱- رأى فقهاء السنّة فى زيارة القبور

۱۲- زيارة النبىّ صلى الله عليه و آله قبر امّه

۱۳- الشىء يذكر بالشىء

ص: ۹۸

ص: ۹۹

۱- زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه و آله

اشارة

منع ابن تيمية من زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وحرمها مطلقاً مع شدِّ الرحال أو بدونه، فضلًا عن زيارة قبر غيره، حكى ذلك عنه القسطلانى (۱) وابن حجر فى الجوهر المنظم (۲).

وقال: بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً وانّه لا تقصر فيه الصلاة.

مناقشة المدعى:

إن الزيارة أمرٌ مشروع بالأدلّة الأربعة:

أمّا الكتاب: فقوله تعالى: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك

۱- إرشاد السارى ۲: ۳۲۹.

۲- كشف الارتياب: ۴۵۹.

ص: ۱۰۰

فاستغفروا اللَّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللَّه توّاباً رحيماً (۱).

فإنّ الزيارة هى الحضور الذى هو عبارة عن المجىء إليه سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه.

وإذا ثبت رجحان ذلك فى حياته، ثبت بعد مماته، أيضاً لما دلَّ على حياته البرزخية وسماعه وردّه السلام على من يسلِّم عليه وعرض الأعمال عليه.

۱- فعن القسطلانى: ليس من يوم إلّاويعرض على النبى أعمال امّته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فكذلك يشهد عليهم» (۲).

وروى ابن زرعة العراقى: عن ابن مسعود قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتى خيرٌ لكم تعرض علىَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدتُ اللَّه عليه وما رأيت من شرّ استغفرت اللَّه لكم» (۳).

۲- قال السبكى- فيما حكاه عنه السمهودى: «والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتى الموت والحياة، واستحبّوا لمن أتى القبر أن يتلوها» (۴).

۳- وحكاية الأعرابى أيضاً تدلّ على الحياة البرزخية

۱- النساء: ۶۴.

۲- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ۳: ۴۱۰.

۳- طرح التثريب فى شرح التقريب: ۲۹۷.

۴- كشف الارتياب ۲۵۶، ۳۴۰.

ص: ۱۰۱

لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله وهذه الحکایهٔ أوردها المصنّفون فی المناسک من جمیع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزائر وهی: کما عن ابن عساکر عن محمد بن حرب (۱) قال: دخلت المدینهٔ فأتیتُ قبر النبی صلی الله علیه و آله فزرتُهُ وجلست بحذائه فجاء أعرابی فزاره ثم قال: یاخیر الرُسل إن اللَّه أنزل علیک کتاباً صادقاً فقال: ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم... وقد ظلمتُ وجئتک تستغفر لی، فنودی من القبر: قد غفر لک.

وقد نقلها السمهودی بطریقین عن علی بن أبی طالب علیه السلام (۲).

وأمّا السّنهٔ:

فقد وردت أحادیث کثیرهٔ وبطرق عدیدهٔ علی اختلاف مضامینها وفیما یلی نماذج منها:

الحدیث الأوّل: عن النبی صلی الله علیه و آله: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» (۳)، ولهذا الحدیث أربعون مصدراً من کتب السنّهٔ ومؤلفوها من الحفّاظ وأئمّهٔ الحدیث منهم:

۱- هو الحافظ الفقیه الخولانی المتوفی عام ۱۹۴ ه، روی له الصحاح ووثقه ابن معین والطائی، سیر أعلام النبلاء ۹: ۵۸.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۲۶ انظر مصادره: الروض الفائق ۲: ۳۸۰، کشف الارتیاب: ۲۵۸، المواهب اللدنیهٔ ۳: ۴۰۵، مغنی المحتاج ۱: ۵۱۲، کنوز الحقائق ۲: ۱۰۸، نیل الأوطار ۵: ۱۰۸، وقد استدل المراغی بهذه الآیهٔ علی مشروعیهٔ زیارته صلی الله علیه و آله وأنها قربهٔ.

۳- الغدیر ۵: ۹۳، سنن الدارقطنی ۲: ۲۷۸، الأحکام السلطانیهٔ ۲: ۱۰۹، السنن الکبری ۵: ۲۴۵، الکامل فی الضعفاء ۶: ۳۵۱، الضعفاء الکبیر ۴: ۱۷۰، الشفا بتعریف حقوق المصطفی ۵: ۱۹۴، مختصر تاریخ دمشق ۲: ۴۰۶، الترغیب والترهیب ۲: ۲۲۴، شفاء السقام: ۲، کنز العمال ۱۵: ۶۵۱، نیل الأوطار ۵: ۱۰۸.

ص: ۱۰۲

۱- عبید بن محمد الورّاق النیسابوری ت ۲۵۵ ه.

۲- ابن أبی الدنیا أبو بکر القرشی ت ۲۸۱ ه.

۳- الدولابی الرازی فی الکنی والأسماء ت ۳۱۰ ه.

۴- ابن خزیمهٔ فی صحیحه ت ۳۱۱ ه.

۵- أبو جعفر العقیلی فی کتابه ت ۳۲۲ ه.

۶- أبو أحمد بن عدی فی الکامل ت ۳۶۰ ه.

۷- الدارقطنی فی السنن ت ۳۸۵ ه.

۸- الماوردی فی الأحکام السلطانیهٔ ت ۴۵۰ ه.

۹- القاضی عیاض المالکی فی الشفا ت ۵۴۴ ه.

۱۰- ابن عساکر فی تاریخه: باب من زار قبره (۱). ت ۵۷۱ ه.

۱۱- السُبکی الشافعی فی شفاء السقام ت ۷۵۶ ه (۲).

قال العلّامهٔ اللکنوی: «وقد زلّ قدمُ من احتج علی ضعف حدیث من زار قبری وجبت له شفاعتی.. وإن شئت زیادهٔ التفصیل فی هذا البحث الجلیل فارجع إلی رسائلی فی بحث زیارهٔ القبر النبوی، إحداها:

الکلام المبرم فی نقض القول المحقق المحکم، ثانیتها: الکلام المبرور فی ردّ القول المنصور، وثالثتها: السعی المشکور فی ردّ المذهب المأثور» ألّفتها ردّاً علی رسائل من حجّ ولم یزر قبر النبی صلی الله علیه و آله العربی فی کل بکرهٔ وعشی» (۳).

۱- وقد أسقطه ابن بدران من تهذیبه.

۲- انظر الغدیر ۵: ۱۶۷.

۳- الرفع والتکمیل: ۲۱۱.

ص: ۱۰۳

أقول: إن رواة هذا الحديث إلى موسى بن هلال كلّهم ثقات لا ريبة فيهم.

وامّا موسى بن هلال: فقال ابن عدى: ارجو أنه لا بأس به وهو من مشايخ أحمد، وأحمد لم يكن يروى إلّاعن ثقة (۱). كما صرّح الخصم بذلك فى الرد على البكرى (۲).

وقد ذكر السبكى شواهد لقوّة سنده، وقال: وبذلك تبيّن أن أقلّ درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع فى دعوى صحّته.

إلى أن قال: وبهذا بل بأقل منه يتبيّن افتراء من ادعى: ان جميع الأحاديث الواردة فى الزيارة موضوعة، فسبحان اللّه أما إستحى من اللّه ومن رسوله فى هذه المقالة التى لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل، لا من أهل الحديث ولا من غيرهم! ولا ذكر أحدٌ موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يطلق على كل الأحاديث التى هذا واحد منها أنها موضوعة (۳)؟!

الحديث الثانى: عن ابن عمر مرفوعاً: «من جاءنى زائراً لا تعمله- لا تحمله- إلّازيارتى كان حقّاً علىَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

ولهذا الحديث ستّة عشر مصدراً ونكتفى بذكر بعضها:

۱- الكامل فى الضعفاء ۶: ۳۵۱.

۲- انظر الغدير ۵: ۱۶۹.

۳- شفاء السقام: ۸.

ص: ۱۰۴

۱- الطبرانی ت ۳۶۰ ه فی المعجم الکبیر.

۲- الحافظبن السکن البغدادی ت ۳۵۳ ه فی کتابه: السنن الصحاح.

۳- الدارقطنی فی أمالیه. ت ۳۸۵ ه.

۴- أبو نعیم الاصبهانی ت ۴۳۰ ه.

۵- أبو حامد الغزالی الشافعی فی إحیاء العلوم ت ۵۰۵ ه (۱).

الحدیث الثالث: عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج فزار قبری بعد وفاتی کان کمن زارنی فی حیاتی» (۲).

ولهذا الحدیث خمسة وعشرون مصدراً من کتب السنّة، وفیما یلی بعضها:

۱- الشیبانی ت ۳۰۳ ه.

۲- أبو یعلی ت ۳۰۷ ه فی مسنده.

۳- البغوی ت ۳۱۷ ه.

۴- ابن عدی ت ۳۶۵ ه فی الکامل.

۵- البیهقی ت ۴۵۸ ه فی السنن «۳».

۶- ابن عساکر ت ۵۷۱ ه فی تاریخه.

۱- المعجم الکبیر ۱۲: ۲۲۵، احیاء علوم الدین ۱: ۲۳۱، مختصر تاریخ دمشق ۲: ۴۰۶، شفاء السقام: ۱۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰، مغنی المحتاج ۱: ۵۱۲، المواهب اللدنیة ۴: ۵۷۱.

۲- انظر الغدیر ۵: ۲۴۶، انظر مصادره: المعجم الکبیر ۱۲: ۳۱۰، سنن الدارقطنی ۲: ۲۷۸.

۳- کنز العمال ۱۵: ۶۵۱، الدرة الثمینة: ۳۹۷، مشکاة المصابیح ۲: ۱۲۸، شفاء السقام: ۲۰- ۲۷، الروض الفائق: ۳۸۰، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰، نیل الأوطار ۵: ۱۰۸، مصباح الظلام ۲: ۳۵۱.

ص: ۱۰۵

الحديث الرابع: عن عبداللَّه بن عمر، مرفوعاً:

«من حجَّ البيت ولم يزرنی فقد جفانی».

نقل هذا الحديث كثيرٌ من الحفّاظ (۱)، منهم:

۱- السمهودی ت ۹۱۱ ه فی وفاء الوفاء.

۲- الدارقطنی ت ۳۸۵ فی كتابه أحاديث مالک التی ليست فی الموطا.

۳- القسطلانی ت ۹۲۳ ه فی المواهب اللدنية.

الحديث الخامس: مرفوعاً، «لا عذر لمن كان له سعة من امّتی ولم يزرنی» (۲).

فعل الصحابة:

۱- ان عمر بن الخطاب لمّا قدم المدينة من فتوح الشام، كان أوّل ما بدأ بالمسجد، سلَّم علی رسول اللَّه صلی الله عليه و آله (۳).

۲- إنّ ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتی قبر النبی صلی الله عليه و آله فقال:

السلام عليک يارسول اللَّه صلی الله عليه و آله السلام عليک يا أبا بكر، السلام عليک يا أبتاه (۴).

۱- نيل الأوطار ۵: ۱۰۸، شفاء السقام: ۲۷، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۲، المواهب اللدنية ۳: ۴۰۴، كشف الخفاء ۲: ۲۴۴، كتاب المجروحين ۳: ۷۳، مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۶۹، الغدير ۵: ۱۰۰.

۲- مجتمع الأنهر فی شرح ملتقی الأبحر ۱: ۱۵۷، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰.

۳- شفاء السقام: ۴۴.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۴۰.

ص: ۱۰۶

۳- إن ابن عمر کان یقف علی قبر النبی، فیصلّی (فیسلّم) علی النبی (۱).

۴- عن ابن عون: سأل رجل نافعاً: هل کان ابن عمر یُسلِّم علی القبر؟ قال: نعم، لقد رأیتهُ مائهٔ مرّهٔ أو أکثر من مائهٔ کان یأتی القبر، فیقوم عنده، فیقول: السلام علی النبی صلی الله علیه و آله (۲).

۵- عن أبی حنیفهٔ، عن ابن عمر: من السنّهٔ أن تأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله من قِبل القبلهٔ، وتجعل ظهرک إلی القبلهٔ وتستقبل القبر بوجهک ثم تقول:...

هذا وقد جمع العلّامهٔ الأمینی أکثر من أربعین قولًا لعلماء السنّهٔ وفقهائهم فی استحباب زیارهٔ قبر النبیّ صلی الله علیه و آله وآداب زیارته (۳).

وأمّا العقل:

فان العقل یحکم بحسن تعظیم من عظّمه اللّه تعالی (هذا من حیث الکبری) والزیارهٔ نوع من التعظیم (وهذا من حیث الصغری).

والنتیجهٔ أن تعظیمه صلی الله علیه و آله بالزیارهٔ تعظیم لشعائر اللّه، وارغام لأُنوف أعدائه ومخالفیه.

المناقشهٔ فی حدیث شدّ الرحال:

حاول ابن تیمیهٔ التشنیع علی الإمامیهٔ بأنّهم «یحجّون إلی المشاهد

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر نفسه.

۳- انظر الغدیر ۵: ۱۰۹.

ص: ۱۰۷

کما یحج الحاج إلی البیت العتیق، کأن زیارهٔ المشاهد خاصهٔ بالإمامیهٔ دون سائر المذاهب الإسلامیهٔ الاخری!

وابن عبدالوهاب یزعم حرمهٔ شدّ الرحال إلی المشاهد المشرّفهٔ وإلی قبر النبی صلی الله علیه و آله، وحرمهٔ السفر بالقصد إلی هذه المشاهد، حیث یقول: «یُسَنّ زیارهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله إلّاأنّه لا تُشَدُّ الرحال إلّاإلی ثلاثهٔ:

المسجد الحرام ومسجدی ومسجد الأقصی» (۱).

فهو یری حرمهٔ السفر بقصد زیارهٔ القبور استناداً إلی هذا الحدیث.

مناقشهٔ هذا المدّعی:

أولًا ان الحصر هنا إضافی لا حقیقی یعنی بالنسبهٔ إلی سائر المساجد لا یشد الرحال إلّاإلی هذه المساجد، وذلک لأن المستثنی منه لم یذکر، أی- أنَّ الاستثناء مفرَّغ- فکما یحتمل تقدیر «المکان، والموضع» فی المستثنی منه، یمکن تقدیر «المسجد» فیکون معنی الروایهٔ لا تشد الرحال إلی مسجد من المساجد إلّاإلی هذه الثلاثهٔ؛ وهذا التقدیر هو المتعیّن لأنه المتبادر والظاهر من الحدیث عرفاً. وعلیه فلا ربط للحدیث بحرمهٔ شدّ الرحال إلی المشاهد المشرّفهٔ والمقابر.

قال القسطلانی: «الاستثناء مفرغ والتقدیر لا تُشَد الرحال إلی موضع، ولازمه منع السفر إلی کل موضع غیرها کزیارهٔ صالح أو قریب أو صاحب، أو طلب علم، أو تجارهٔ أو نزههٔ، لأن المستثنی منه فی

۱- البخاری ۲: ۱۳۶، کتاب الصلاهٔ، مسلم ۴: ۱۲۶ الحج، إحیاء العلوم للغزالی ۲: ۲۴۷.

ص: ۱۰۸

المفرغ يقدّر بأعم العام. لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد» (۱).

ثانياً: مما لا ـ كلام فيه: هو الإجماع والاتفاق على جواز السفر وشدِّ الرحال إلى أي مكان كان للتجارة أو طلب العلم، أو الجهاد، أو زيارة العلماء، أو النزهة، أو غير ذلك، فلو كان المستثنى منه فى الحديث هو غير المسجد، بل المكان أو «الموضع» للزم عدم جواز شدِّ الرحال إلى هذه الجهات المذكورة، وهذا خلاف المتفق والمجمع عليه. فلابدّ من القول: بأن المستثنى منه فى الحديث: هو المسجد يعنى لايقصد بالسفر إلى المسجد إلّاالمساجد الثلاثة.

وحينئذٍ: لايدلّ الحديث، بل ولا إشارة فيه على حرمة شدِّ الرحال إلى المشاهد وخصوصاً قبر النبيّ صلى الله عليه و آله وزيارته.

ثالثاً: إن مضمون هذا الحديث غير معمول به حتى على فرض جعل المستثنى منه «المسجد» إذ معناه حينئذٍ عدم جواز شد الرحال إلى أي مسجد إلّاهذه المساجد الثلاثة، واما غيرها من المساجد فلايجوز السفر إليها.

والحال: ان النصوص تصرِّح بأن النبى صلى الله عليه و آله والصحابة كانوا يذهبون كل سبت إلى مسجد قبا، وبينه وبين المدينة ثلاثة أميال، مع ان «قبا» ليس من المساجد الثلاثة فلابد من الالتزام بحرمة الذهاب إليها، مع انّه لم يتفوّه به مسلم.

۱- إرشاد السارى ۲: ۳۳۲.

ص: ۱۰۹

فعن ابن عمر: «کان النبی یأتی مسجد قباء کل سبت ماشیاً وراکباً، وکان عبداللَّه یفعله» (۱).

رابعاً: إن بلالًا شدَّ الرحال لزیارة قبر النبیّ صلی الله علیه و آله

روی ابن عساکر: «لما رحل عمر من فتح بیت المقدس، فصار إلی جابیة سأله بلال أن یقرَّه بالشام ففعل. قال: ثم إن بلالًا رأی فی منامه النبی صلی الله علیه و آله وهو یقول: ما هذه الجفوة یابلال، أما آن لک أن تزورنی یابلال.

فانتبه حزیناً وجِلًا، خائفاً، فرکب راحلته وقصد المدینة، فأتی قبر النبی صلی الله علیه و آله فجعل یبکی عنده ویُمرِّغ وجهه علیه، فأقبل الحسن والحسین فجعل یضمّهما ویقبلهما، فقالا له: یابلال نشتهی أن نسمع اذانک، فلما قال: اللَّه أکبر، ارتجّت المدینة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلّا اللَّه ازدادت رجّتها فلما قال: أشهد أنّ محمّداً رسول اللَّه خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: بُعِثَ رسول اللّه، فما رؤیَ بالمدینة بعده صلی الله علیه و آله أکثر باکیاً وباکیة من ذلک الیوم» (۲).

قال الحافظ عبد الغنی وغیره: لم یؤذِّن بلال بعد النبی صلی الله علیه و آله إلّامرّة واحدة فی قدومه المدینة لزیارة النبی صلی الله علیه و آله (۳).

قال السُبکی: لیس اعتمادنا علی رؤیا المنام فقط، بل اعتمادنا علی

۱- إرشاد الساری ۲: ۳۳۲، البخاری ۲: ۱۳۷.

۲- اسد الغابة ۱: ۲۰۸، تهذیب المطالب ۲: ۴۰۸، شفاء السقام: ۸۵.

۳- ولکن ثبت تاریخیاً ان بلالًا أذَّن بعد النبی صلی الله علیه و آله ثلاث مرّات، مرّتان فی المدینة ومرّة بالشام. انظر قاموس الرجال ۲: ۳۹۸.

ص: ۱۱۰

فعل بلال سيما فى خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا تخفى عنهم هذه القصة، ورؤيا بلال النبى صلى الله عليه و آله مؤكدة لذلك (۱).

وفى فتوح الشام: إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له: هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله عليه و آله وتتمّع بزيارته؟ فقال: نعم أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة كان أوّل ما بدأ بالمسجد وسلّم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۲).

خامساً: استفاض عن عمر بن عبدالعزيز انّه كان يبرد البريد من الشام، يقول: سلِّم لى على رسول اللّه صلى الله عليه و آله (۳).

موقف العلماء من مزاعم ابن تيمية

۱– قال القسطلانى: «قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه» (۴).

۲– النابلسى: «وليس هذا بأول ورطة وقع فيها ابن تيمية وأتباعه فانه جعل شدَّ الرحال الى بيت المقدس معصية... ونهى عن التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله الى اللّه تعالى وبغيره من الأولياء.. الى غير ذلك من التهورات الفظيعة الموجبة لكمال القطيعة التى استوفاها الحصنى فى

۱– تاريخ الاسلام عهد الخلفاء ۳: ۲۰۵، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۷.

۲– وفاء الوفاء ۴: ۱۳۵۸.

۳– تهذيب المطالب ۲: ۴۰۸.

۴– إرشاد السارى ۲: ۳۲۹.

ص: ۱۱۱

كتاب مستقل فی الردّ علی ابن تیمیهٔ واتباعه وصرَّح فیه بکفره» (۱).

۳- وقال الغزالی: «کل من تبرّک بمشاهدته فی حیاته یتبرّک بزیارته بعد موته، ویجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض، ولا یمنع من هذا قوله: لاتشدّ الرحال إلّاعلی ثلاثهٔ مساجد» (۲).

۴- العزامی الشافعی: «ولقد تعدی هذا الرجل حتی علی الجناب المحمّدی فقال: إنَّ شدَّ الرِّحال إلی زیارته معصیهٔ...» (۳).

۵- الهیثمی الشافعی: فانّه بعدما استدلَّ علی مشروعیهٔ زیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه و آله بعدّهٔ أدلّهٔ، منها الإجماع. قال: فإن قلت: کیف تحکی الإجماع علی مشروعیهٔ الزیارهٔ والسفر إلیها وطلبها، وابن تیمیهٔ من متأخّری الحنابلهٔ منکرٌ لمشروعیهٔ ذلک کلّه، رآه السُبکی فی خطّه؟! وقد أطال ابن تیمیهٔ الاستدلال لذلک بما تمجُّهُ الأسماع، وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمهٔالسفر إلیها إجماعاً، وأنه لاتقصر فیه الصلاهٔ. وأنجمیع الأحادیث الواردهٔ فیها موضوعهٔ، وتبعُه بعض من تأخَّر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تیمیهٔ حتی ینظر إلیه أو یُعوَّل فی شیء من أمور الدین علیه؟! وهل هو إلّاکما قال جماعهٔ من الائمهٔ الذین تعقّبوا کلماته الفاسدهٔ وحججه الکاسدهٔ، حتی أظهروا سخف سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته...» (۴).

۱- الحضرهٔ الانسیهٔ فی الرحلهٔ القدسیهٔ: ۱۲۹.

۲- إحیاء علوم الدین ۲: ۲۴۷.

۳- فرقان القرآن: ۱۳۳، الغدیر ۵: ۱۵۴.

۴- انظر الغدیر ۵: ۱۱۶، کشف الارتیاب: ۳۷۲، الجوهر المنظم فی زیارهٔ القبر المکرم: ۱۲.

ص: ۱۱۲

والحاصل ان الأحاديث التى أوردها الحفاظ والمحدِّثون من السّنة، البالغة حدّ الاستفاضة بل البالغة درجة التواتر، وكذلك فعل الصحابة، وزيارة بلال قبر النبى صلى الله عليه و آله وشدّه الرحال إلى الزيارة بمرأى ومسمع الصحابة وعدم اعتراضهم عليه، وكذلك دعوة الخليفة عمر بن الخطاب كعب الاحبار لزيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله وعدم اعتراض الصحابة فى ذلك. تُعد أقوى حجّة وأسمى دليل على جواز شدّ الرحال إلى المشاهد المشرّفة سيّما قبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله، بل تدل على الرجحان والاستحباب إذ فى بعضها ورد الأمر بالزيارة وهو للندب عند الجمهور. وللوجوب عند ابن حزم، ولو مرّة واحدة فى العمر (۱).

۶- الشيخ أحمد القسطلانى: «إعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل الى أعلى الدرجات، ومن إعتقد غير هذا فقد إنخلع من ربقة الإسلام، وخالف اللَّهَ ورسوله وجماعة العلماء الأعلام وقال ايضاً لابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شدّ الرحال للزيارة...» (۲).

زيارة القبور والمشاهد

هذا كلّه بالنسبة إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله، وأمّا زيارة سائر القبور وشدُّ الرحال إليها، فكذلك ممّا لا كلام فى مشروعيتها أيضاً وقد حثّ النبىّ الكريم على زيارتها ورغّب المسلمين فى ذلك، كما قام هو بزيارة

۱- التاج الجامع للُاصول ۲: ۳۸۲.

۲- المواهب اللّدنية ۳: ۴۰۳ و ۴۰۶.

ص: ۱۱۳

القبور، وزیارهٔ قبر امّه آمنهٔ بنت وهب رضی اللَّه عنها، کما ثبت ذلک أیضاً من سیرهٔ المسلمین ودأبهم علی زیارهٔ قبور المسلمین.

الأحادیث فی زیارهٔ القبور:

۱- سلیمان بن بریدهٔ عن أبیه عن النبی صلی الله علیه و آله: نهیتکم عن زیارهٔ القبور، ألا فزوروها (۱).

قال الشیخ منصور: فزوروها والأمر للندب عند الجمهور، وللوجوب عند ابن حزم ولو مرّهٔ واحدهٔ فی العمر (۲).

۲- عن النبی صلی الله علیه و آله: کنت نهیتکم عن زیارهٔ القبور، فقد أذن لمحمّد فی زیارهٔ قبر امّه، فزوروها فانّها تذکِّر الآخرهٔ.

رواه الخمسهٔ إلّاالبخاری واللفظ للترمذی.

قال: والمیّت یأنس بالزائر وینتفع بالدعاء والقرآن وما تسمح به الحال من صدقهٔ، وهذه هی حکمهٔ الزیارهٔ (۳).

۳- عن النبی صلی الله علیه و آله: نهیتکم عن زیارهٔ القبور ثم بدا لی (۴).

۴- عن النبی صلی الله علیه و آله: إئتوا موتاکم فسلِّموا علیهم، أو- صلّوا- شک فإنَّ بهم عبرهٔ (۵).

۱- صحیح مسلم ۳: ۶۵، سنن النسائی ۴: ۸۹، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۵.

۲- التاج الجامع للُاصول ۱: ۳۸۱، جامع الاصول ۱۱: ۴۳۸.

۳- المصدر نفسه.

۴- مسند أحمد ۲: ۳۳۷، انظر موسوعهٔ أطراف الحدیث ۱۰: ۱۸۱.

۵- أخبار مکهٔ ۲: ۵۲.

ص: ۱۱۴

۵- کان النبی یأتی قبور الشهداء، عند رأس الحول فیقول:

السلام علیکم بما صبرتم، فنعم عقبی الدار، وجاءها أبو بکر ثم عمر ثم عثمان، فلما قدم معاویة حاجّاً جاءهم، قال: وکان النبی صلی الله علیه و آله إذا واجه الشِّعب، قال: سلام علیکم بما صبرتم (۱).

۶- عن عائشة: کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کلّما کانت لیلتین یخرج من آخر اللیل إلی البقیع فیقول: السلام علیکم دار قوم مؤمنین، وآتاکم ما توعدون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء اللَّه بکم لاحقون اللهمّ اغفر لأهل بقیع الغرقد (۲).

۷- عن ابن مسعود عن النبی صلی الله علیه و آله: ألا فزوروا القبور فانّها تزهّد فی الدنیا وتذکِّر الآخرة (۳).

۸- عن أنس عن النبی صلی الله علیه و آله: نهیتکم عن زیارة القبور فزوروها فأنَّها تذکِّرکم الموت (۴).

۹- عن النبی: إنی نهیتکم عن زیارة القبور، فمن شاء منکم أن یزور قبراً فلیزره فانّه یرق القلب ویدمع العین ویذکِّر الآخرة (۵).

۱۰- طلحة بن عبداللَّه: خرجنا مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یرید قبور

۱- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

۲- وفاء الوفاء ۳: ۸۸۳ عن مسلم ۳: ۶۳، والنسائی، السنن الکبری ۴: ۱۳۲.

۳- سنن ابن ماجة ۱: ۵۰۱، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۱، أخبار مکة ۴: ۵۳.

۴- مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۱ الرقم ۱۳۸۸.

۵- مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۳، الرقم ۱۳۹۴، الجنائز، انظر مجمع الزوائد ۳: ۵۸.

ص: ۱۱۵

الشهداء فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا (۱).

۱۱- عن عائشة، عن النبی صلی الله علیه و آله ان جبرئیل أتانی... فقال إن ربّک یأمرک أن تأتی أهل البقیع فتستغفر لهم» (۲)

فعل الصحابة والتابعين

۱- عن أبی جعفر علیه السلام: ان فاطمة بنت رسول اللّه کانت تزور قبر حمزة رضی اللّه تعالی عنه، ترمّهُ وتصلحه وقد تعلّمته بحجر (۳).

۲- روی رزین عنه أن فاطمة- رضی اللّه عنها- کانت تزور قبور الشهداء بین الیومین والثلاثة (۴).

۳- رواه یحیی بنحوه عن أبی جعفر علیه السلام عن علی بن الحسین علیه السلام وزاد: فتصلی هناک وتدعو وتبکی حتی ماتت (۵).

۴- عن علی علیه السلام: إنّ فاطمة کانت تزور قبر عمّها حمزة کل جمعة فتصلّی وتبکی عنده (۶).

۵- ابن أبی ملیکة: رأیت عائشة تزور قبر أخیها عبدالرحمن

۱- سنن أبی داود ۳: ۲۱۶، السنن الکبری ۴: ۱۲۷، ومن طریق العطاف: إن النبی زار قبور الشهداء باحد وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

۲- السنن الکبری ۴: ۱۳۲.

۳- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲، السنن الکبری ۴: ۱۳۱، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۳، وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲، انظر الغدیر ۵: ۱۶۷.

۴- المصدر نفسه.

۵- المصدر نفسه.

۶- المصدر نفسه.

ص: ۱۱۶

ومات بالحبشي وقُبر بمكة (۱).

۶- وقال: إن عائشة أقبلت ذات‌يوم من‌المقابرفقلت لها أليس كان رسول‌اللَّه صلى الله عليه و آله نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها (۲).

۷- روى البيهقى عن هاشم بن محمد العمرى من ولد عمر بن على قال: أخذنى أبى بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء فى يوم جمعة بين الفجر والشمس، فكنت أمشى خلفه فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته، فقال: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. قال: فاجيب وعليك السلام يا أبا عبداللَّه، فالتفت أبى إلىَّ فقال: أنت المجيب؟ فقلت: لا، فجعلنى عن يمينه ثم أعاد السلام، ثم جعل كلّما سلم يُرَّد عليه، حتى فعل ذلك ثلاث مرّات. فخرَّ ساجداً شكراً للَّه (۳).

۸- عن يحيى عن العطاف قال: حدّثتنى خالة لى، وكانت من العوابد قالت: ركبت يوماً معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة، فصلّيت ماشاء اللَّه ولا واللَّه ما فى الوادى داع ولا مجيب يتحرّك وغلامى قائم آخذ برأس دابتى. فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت: السلام عليكم، وأشرت بيدى فسمعت ردّ السلام علىَّ من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن اللَّه خلقنى وأقشعرت كل شعرة منّى، فدعوت الغلام، فقلت:

هات دابتى فركبت (۴).

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۰.

۲- السنن الكبرى ۴: ۱۳۱.

۳- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۳.

۴- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲.

ص: ۱۱۷

القبور المقصودة بالزيارة

هناك قبور للصحابة وغيرهم من الصالحين والمؤمنين، جرت سيرة المسلمين قديماً وإلى يومنا هذا فى زيارتها والتوسّل والتبرّك بها.. وفيما يلى نبذة منها:

۱– قبر بلال بن حمامة الحبشى، مؤذّن رسول اللّه صلى الله عليه و آله المتوفى عام ۲۰ ه بدمشق، وفى رأس القبر تاريخ باسمه، والدعاء فى هذا الموضع المبارك مستجاب، قد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم (۱).

۲– قبر سلمان الفارسى المتوفّى عام ۳۶ ه.

قال الخطيب البغدادى: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى، عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر فى أمر مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرتُه غير مرّة (۲).

وقال ابن الجوزى: قال القلانسى وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا (۳).

۳– قبر أبى أيوب الأنصارى المتوفّى عام ۵۲ بالروم.

قال الحاكم: يتعاهدون قبره و يزورونه و يستسقون به إذا قحطوا (۴).

۴– مشهد رأس الحسين عليه السلام بمصر

۱– رحلة ابن جبير: ۲۲۹، انظر الغدير ۵: ۱۸۴.

۲– تاريخ بغداد ۱: ۱۶۳.

۳– المنتظم ۱۲: ۲۴۱.

۴– مستدرك الحاكم ۳: ۵۱۸ الرقم ۵۹۲۹، صفة الصفوة ۱: ۴۷۰.

وفى رحلة ابن بطوطة ۱: ۱۸۷ عن قبر طلحة وعليه قبة ومسجد والناس يعظّمونه.

ص: ۱۱۸

قال ابن جبير المتوفّى عام ۶۱۴ ه: «هو فى تابوت فضّة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به.. ومن أعجب ما شاهدناه فى دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلّها كأنّه المرآة الهندية.. وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسّحهم بالكسوة التى عليه، وطوافهم حوله، مزدحمين داعين باكين متوسّلين إلى اللّه سبحانه ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين بما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول، نفعنا اللّه ببركة ذلك المشهد الكريم.. (۱).

۵- قبر عمر بن عبدالعزيز الأموى المتوفى ۱۰۱ ه

وقبره بدير سمعان (۲) يزار (۳).

۶- الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المدفون بالكاظمية، الشهيد عام ۱۸۳ ه.

قال الخطيب... سمعت الحسن بن إبراهيم- شيخ الحنابلة فى عصره- يقول: ما همّنى أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهّل اللّه تعالى لى ما أحبّ (۴).

۱- رحلة ابن جبير: ۱۹.

۲- وهو دير بنواحى دمشق معجم البلدان ۲: ۵۸۶.

۳- تاريخ الإسلام حوادث سنة ۱۰۰ ص ۲۶، تذكرة الحفاظ ۱: ۱۲۱.

۴- تاريخ بغداد ۱: ۱۲۰، انظر البداية والنهاية ۵: ۸۸.

ص: ۱۱۹

قال ابن عماد: «توفى ببغداد أبو جعفر محمد الجواد.. ودفن عند جدّه موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة» (۱).

۷- قبر الإمام الرضا عليه السلام:

قال محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث ابن خزيمة وعديله أبى على الثقفى مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى على بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه- يعنى ابن خزيمة- لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيرنا (۲).

۸- محمد بن إدريس الشافعى:

إمام الشافعية المتوفى ۲۰۴ ه دفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم (۳).

۹- أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفى ۲۴۱ ه.

قال الذهبى: ضريحه يزار ببغداد (۴).

۱۰- أبو حنيفة إمام الحنفية المتوفى ۱۵۰ ه

وقبره فى الأعظمية ببغداد مزار معروف (۵).

عن الشافعى: وأجيىء إلى قبره كل يوم زائراً (۶).

۱- شذرات الذهب ۳: ۹۷.

۲- وفيات الأعيان ۴: ۱۶۵، تهذيب التهذيب ۷: ۳۳۹.

۳- المصدر نفسه.

۴- ميزان الاعتدال ۱: ۱۱۴.

۵- تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳.

۶- المصدر نفسه.

ص: ١٢٠

١١- قبر ذى النون المصرى المتوفى عام ٢۴۶ ه دفن بالقرافة وعلى قبره مشهد مبنى.. زُرته غير مرّة (١).

١٢- قبر إسماعيل بن يوسف الديلمى.

قال المعافى: الناس يزورون قبره وراء قبر معروف الكرخى، وبينهما قبور يسيرة، وقد زرتُه مراراً (٢).

١٣- قبر مصعب بن الزبير المتوفى عام ١۵٧ ه

قال ابن الجوزى: زارت العامة قبره بمسكن (٣) كما يزار قبر الحسين عليه السلام (۴).

أقول: أين الثرى من الثريا، وأين «السفاك للدماء المتمنى إمرة العراق (۵)» وأين سيّد شباب أهل الجنّة!!

١۴- ليث بن سعد الحنفى إمام مصر، المتوفى عام ١٧۵ ه

دفن بالقرافة الصغرى، وقبره يزار رأيته غير مرّة (۶).

١۵- قبر أبى عوانه عليه مشهد مبنى بأسفرائين يزار وهو بداخل المدينة (٧).

١- وفيات الأعيان ١: ٣١٨.

٢- صفة الصفوة ٢: ۴١٣.

٣- موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبدالملك بن‌مروان ومصعب بن الزبير عام ٧٢ فقُتِل مصعب وقبره هناك معروف. معجم البلدان ۵: ١٢٧.

۴- المنتظم ١۵: ١۴.

۵- انظر سير أعلام النبلاء ۴: ١۴١.

۶- الجواهر المضيئة ٢: ٧٢٠ الرقم ١١٣١.

٧- تذكرة الحفاظ ٣: ٧٨٠ رقم الترجمة ٧٧٢.

ص: ۱۲۱

۱۶- وقال ابن عساكر: إنّ قبر أبى عوانه باسفرائين مزار العالم ومتبرك الخلق.. (۱).

قال ابن الصفار الاسفراينى: «كان جدّى إذا وصل إلى مشهد الاستاذ- أبى إسحاق- رأيته لا يدخله احتراماً، بل كان يقبّل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير، ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم عظيم الهيبة، وإذا وصل إلى مشهد أبى عوانه كان أشدّ تعظيماً له وإجلالًا وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك» (۲).

۱۷- قبر الحافظ أبى الحسن العامرى المتوفى عام ۴۰۳ ه

عكف الناس على قبره ليالى يقرؤون القرآن ويدعون له وجاء الشعراء من كل اوب يرثُون ويترحمون (۳).

۱۸- قبر المعتمد على اللَّه، المتوفى عام ۴۸۸ ه

وهو أبو القاسم محمد بن المعتضد اللخمى الأندلسى، اجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يقصدونه بالمدايح.. فرثوه بقصايد مطولات وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه فمنهم أبو بحر رثاه بقصيدة

۱- وفيات الأعيان ۶: ۳۹۴، انظر الأنساب للسمعانى ۳: ۴۸۴ حيث يقول: زرت قبره- سير أعلام النبلاء ۱۴: ۴۱۹.

۲- المصدر نفسه.

۳- البداية والنهاية ۱۱: ۳۷۵.

هو صاحب الأندلس بعد أبيه وقاتل ملك الفرنج واستأصل جمعهم ثم بعد ذلك هاجت الفتنة بأندلس فأُسر ثم قتل سير أعلام النبلاء ۱۹: ۶۳.

ص: ۱۲۲

منها:

قَبّلْتُ فی هذا الثری لک خاضعاً وجعلتُ قبرک موضع الإنشاد

ولما فرغ من إنشادها، قبّل الثری ومرّغ جسمه وعفّر خدّه فأبکی کلّ من حضر (۱).

۱۹- قبر نصر بن إبراهیم المقدسی المتوفی ۴۹۰ ه

شیخ الشافعیهٔ، توفی بدمشق ودفن بباب الصغیر، وقبره ظاهر یزار (۲).

۲۰- القاسم بن فیره الشاطبی: المتوفی ۵۹۰ ه

دفن بالقرافه وقبره مشهور معروف یقصد للزیارهٔ وقد زرته مرّات (۳).

۲۱- قبر أحمد بن جعفر الخزرجی البستی نزیل مراکش ت ۶۰۱ ه

قال صاحب نیل الابتهاج:.. وإلی الآن مازال الحال علی ما کان علیه من روضته من ازدحام الخلق علیها وقضاء حوائجهم وقد زرتُه ما یزید علی خمسمائهٔ مرّهٔ، وبتُّ هناک ما ینیف علی ثلاثین لیلهٔ (۴).

۲۲- قبر سفیان الثوری: قال ابن حبان: «وقبره- أی سفیان-

۱- المواهب اللدنیهٔ ۳: ۳۹۰، شذرات الذهب ۵: ۳۸۸.

۲- المواهب اللدنیهٔ ۳: ۳۹۶، شذرات الذهب ۲: ۳۹۷، انظر العبر ۲: ۳۶۳.

۳- طبقات القراء ۲: ۲۲.

۴- نیل الابتهاج: ۶۲.

ص: ۱۲۳

فی مقبرة بنی کلیب بالبصرة وقد زرته» (۱).

من هو ابن حبان؟

هو «الإمام العلّامة الحافظ، المجوِّد شیخ خراسان کما عن الذهبی، وکان من فقهاء الدین وحفّاظ الآثار، وصنّف المسند الصحیح وفقّه الناس بسمرقند کما قاله الادریسی.

وهو من أوعیة العلم فی الفقه واللغة والحدیث والوعظ ومن عقلاء الرجال کما عن الحاکم النیسابوری.

وکان ثقة نبیلًا فهماً» کما عن الخطیب البغدادی (۲).

ومن أعلام القرن الثالث. فمن کان بهذه المرتبة من العلم والفضل والفقه- علی ما قالوا- تراه یشد الرحال لزیارة القبور، ولایراه شرکاً وحراماً کما زعمه الوهابیة، وقد تعرضنا لترجمته سابقاً.

هذا مختصر ممّا ورد فی کتب التراجم والتواریخ والحدیث، من:

زیارة القبور، ومضی علی ذلک الصحابة والتابعون، فانّهم کانوا یعظّمون قبر النبی الکریم ویقصدونه للزیارة، وکذلک قبور الأئمّة الطاهرین، والصالحین والأولیاء والعلماء، فقد کانت تشدّ الرحال إلیها من دون أن ینکر ذلک أحد.

وبعد هذه الشواهد والنصوص: ما هی حجّة ابن تیمیة ومن یقول بمزاعمه، فی حرمة زیارة القبور وشدّ الرحال إلیها؟!

۱- کتاب الثقات ۶: ۴۰۲، الأنساب ۱: ۵۱۷.

۲- سیر أعلام النبلاء ۱۶: ۹۲.

ص: ۱۲۴

وما ذنب الشیعة الإمامیة لو عملت بمقتضی السنّة الشریفة، وسلکت سیرة المسلمین فی زیارة القبور؟!

هل کانت القبور المقصودة کلّها قبوراً للإمامیّة؟! وهل الزائرون لها کانوا کلّهم شیعة اثنی عشریة؟! هل کان ابن خزیمة وعدیله الثقفی من الشیعة؟ وهل شیخ الحنابلة کان شیعیاً حیث یزور قبر الکاظم علیه السلام؟

وهل کان ابن حبان شیعیاً حیث یزور قبر الرضا علیه السلام؟ أم هل کان الشافعی محمد بن إدریس شیعیاً وهو یزور قبر أبی حنیفة کل یوم؟

وهل کانت عائشة من شیعة علی علیه السلام وهی تزور قبر أخیها عبدالرحمن بمکّة؟!

رأی فقهاء السنّة:

۱- العسقلانی: فانّه بعد أن نقل حدیث أنس «مرّ النبی صلی الله علیه و آله بأمراة تبکی عند قبر فقال: اتقی اللّه واصبری..

قال: واستدل به علی زیارة القبور، سواء کان الزائر رجلًا أو امرأة، وسواء کان المزور مسلماً أو کافراً لعدم الاستفصال فی ذلک..

۲- قال النووی: وبالجواز قطع الجمهور. وقال صاحب الحاوی، أی الماوردی: لاتجوز زیارة قبر الکافر وهو غلط.

وحجّة الماوردی قوله تعالی: ولاتقم علی قبره وفی الاستدلال بذلک نظر لایخفی.

قال: وبالجملة: فتستحب زیارة قبور المسلمین للرجال لحدیث مسلم: کنت نهیتکم عن زیارة القبور فزوروها فإنّها تذکّر الآخرة.

ص: ۱۲۵

۳- وسُئِل مالـک عن زيارة القبور؟ فقال: قـد كان نهى عنه، ثم أذن فيه، فلو فعل ذلک إنسان ولم يقل إلّاخيراً لم أرَ بـذلک بأساً. (۱)

۴- السمهودى: «أجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى بل قال بعض الظاهرية بوجوبها» (۲).

زيارة النبى صلى الله عليه و آله قبر امّه

وممّا ورد فى زيارة القبور ما رواه مسلم والنسائى عن أبى هريرة:

قـال: زار النبى صـلى الله عليه و آله امّه فبكى وأبكى من حوله، فقـال: اسـتأذنت ربّى فى أن اسـتغفر لها فلم يأذن لى واسـتأذنته فى أن أزور قبره فاذن لى فزوروا القبور فانّها تذكِّركم الموت (۳).

بحث فى ايمان والدى النبى صلى الله عليه و آله

أقول: والنصوص والشواهد التاريخية كلها تشـهد على إيمان والدى الرسول صـلى الله عليه و آله حاشاهما من الشرک. كيف ولم يزل يُنقل من أصـلاب طاهرة إلى أرحام مطهّرة. كيف والآية الكريمة صـريحة أو ظاهرة فى ذلک: وتقلبک فى الساجدين (۴) وقد وردت ذيل هذه الآية الكريمة فى التفاسير:

۱- روى السيوطى عن ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار

۱- إرشاد السارى ۳: ۴۰۰.

۲- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۶۲.

۳- مسلم ۳: ۶۵، الجنائز، النسائى ۴: ۹۰، مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲، السنن الكبرى ۴: ۱۲۸.

۴- الشعراء: ۲۱۹.

ص: ۱۲۶

وابن أبی حـاتم والطبرانی وابن مردویه والبیهقی فی الـدلائل عن مجاهـد فی قوله وتقلّبـک فی الساجـدین قـال: من نبی إلی نبی حتی اخرجت نبیّاً» (۱).

۲- وروی أیضـاً: عن ابن أبی حـاتم وابن مردویه وأبی نعیم فی الـدلائل عن ابن عبـاس فی قوله: وتقلّبـک فی الساجـدین قـال: ما زال النبی صلی الله علیه و آله یتقلّب فی أصلاب الأنبیاء حتی ولدته امّه (۲).

۳- وأخرج ابـن مردویـه عن ابن عبـاس قـال: سـألت رسـول اللَّه فقلت: بـأبی أنت وامّی أین کنت وآدم فی الجنّـهٔ؟ فتبسّم حتّی بـدت نواجذه ثم قال: انّی کنت فی صـلبه وهبط إلی الأرض وأنا فی صلبه ورکبت السفینهٔ فی صلب أبی نوح وقذفت فی النار فی صلب أبی إبراهیم لم یلتق أبوای قـط علی سـفاح لم یزل اللَّه ینقلنی من الأصـلاب الطیّبـهٔ إلی الأرحام الطاهرهٔ مصـفّیً مهـذّباً لا تتشـعّب شـعبتان إلّاکنت فی خیرهما قد أخذ اللَّه بالنبوّهٔ میثاقی وبالإسـلام هداتی وبیَّن فی التوراهٔ والإنجیل ذکری وبیّن کلَّ شـیءٍ من صـفتی فی شرق الأرض وغربها وعلّمنی کتابه ورقی بی فی سـمائه وشق لی من أسـمائه فـذوالعرش محمود وأنا محمـد ووعـدنی أن یحبونی بالحوض وأعطـانی الکوثر وأنـا أوّل شافع وأوّل مشـفع ثم أخرجنی فی خیر قرون امّتی، وامتی الحمّادون یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر» (۳).

۱- الدر المنثور ۵: ۹۸.

۲- الدر المنثور ۵: ۹۸.

۳- الدر المنثور ۵: ۹۸.

ص: ۱۲۷

إذن فالآيـة الشـريفة، وقوله صـلى الله عليه و آله فى الحـديث الأخير: «لم يلتقِ أبواى قط على سـفاح، لم يزل اللّه ينقلنى من الأصـلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، مصـفىً مهذّباً..» كاشـفان تماماً عن طهارة آباء وامّهات الرسول صلى الله عليه و آله من دنس ونجس، فهم مبرّأون من الشرك لأن المشركين نجس.

إذن فآمنة بنت وهب رضوان اللّه تعالى عليها كانت موحِّدة مؤمنة وحنيفية غير مشركة وعلى هذا تكون الرواية الماضية التى رواها كلّ من مسلم والنسائى عن أبى هريرة هى إحدى الإساءات إلى والدىّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

ولذا نرى بعض المنصفين من الشرّاح لهذا الحديث قاموا بتأويلات تنبئ عن أن فطرتهم السليمة تأبى قبول هذه المضامين:

قـال الشـيخ منصور: «وهـذا لاـ ينافى دخولها الجنّـة، فإنّها من أهل الفترة، والجمهور على أنّهم ناجون.. بل قـد ورد وصـح عنـد أرباب الكشف: أن اللّه تعالى أحيا أبوى النبى بعد رسالته فآمنا به، فلهذا كانا من أهل الجنّة» (۱).

أقول: ثم إنّ هذا التفسير لهذه الآية لم يختص بالشيعة (۲) الإمامية

۱- التاج الجامع للُاصول ۱: ۳۸۲.

۲- قال الزمخشرى:... فالآية دليل على ثبوت الايمان والتوحيد بالنسبة إلى آباء النبى صلى الله عليه و آله وأجداده الكرام وانّهم ينقلون من الأصـلاب الساجـدة الطـاهرة إلى الأرحام الساجـدة المطهّرة. انظر كتاب: أبو طالب وبنوه: ۲۱۹ للسـيّد على خان، منيـة الراغب: ۵۶ للمرحوم آية اللّه الطبسى.

ص: ۱۲۸

ولا هم الذين تفردوا بنقل رواياتها، بل كما رأيت رواه السيوطى عن ابن أبى حاتم وابن مردويه وأبى نعيم والعدنى، والبزار والطبرانى، عن مجاهد وابن عباس (۱) فلاوجه لما نسبه الرازى (۲) فى تفسيره إلى خصوص الشيعة (۳).

۱- انظر الميزان ۱۵: ۳۶۷.

۲- التفسير الكبير ۲۴: ۱۷۳.

۳- أضف إلى قوّة دليلهم: وذلك لأن الآية فيها وجوه:

۱- المراد ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه بالتهجّد وتقلّبه فى تصفح أحوال المجتهدين ليطلع على أسرارهم.

۲- المعنى: يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلّبه فى الساجدين: أى تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذ كان إماماً لهم.

۳- المعنى انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلّبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين.

۴- المراد: تقلّب بصره فيمن يصلّى خلفه، من قوله عليه السلام: أتمّوا الركوع والسجود فواللّه انى لأراكم من خلفى.

أقول: كما ان الآية الشريفة تحتمل هذه الوجوه الأربعة ولا دليل على وجه دون آخر. كذلك يحتمل فيه وجه خامس: يعاضده روايات من السنة ومن طرق الخاصّة أيضاً: وهو: أن يكون المراد ان اللّه تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد. فيحمل الآية على كل هذه الوجوه من دون رجحان وذلك لأن النبى صلى الله عليه و آله يقول: لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات. مع ان الكافر نجس انّما المشركون نجس فكيف يجتمع النجاسة والشرك، مع طهارة الصلب والرَحِم؟

فلابد وأن يكون والدا النبى مسلمين.

فإن قلت: قوله تعالى: وإذ قال إبراهيم لابيه ازر دليل على كفر آباء النبى.

قلنا: يطلق الأب على العم كما فى الآية الشريفة: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فسمى أبناء يعقوب، إسماعيل أباً ليعقوب، مع انّه عمٌ له.

إن قلت: إن حمل الآية على جميع الوجوه غير جائز.

قلنا: أولًا: انها على المبنى من جواز استعمال اللفظ فى أكثر من معنى واحد.

ثانياً: حتى ولو اخترنا هذا المبنى الاصولى، لكن لا ينفى الاحتمال الخامس، ولا يثبت سائر الاحتمالات.

ص: ۱۲۹

الشیء یذکر بالشیء:

ومع الأسف وقع نظیر هـذا البحث والخلط فی حامی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وناصره سیّدنا أبی طالب علیه السلام. فکل من یقف علی مواقفه البطولیة وأشعاره وخطاباته، یذعن بأنّه مؤمن وموحِّد ومعتقد بالنبیّ صلی الله علیه و آله وبرسالته، ولکن العصبیة الأمویة والنزعة الخیبریة، والأحقاد تمنع من التصریح بالحق، والتفوّه بما هو الواقع: وأن أبا طالب مات مؤمناً وموحِّداً.

وفیما یلی کلام غریب لابن کثیر: «قلت.. وقد قدمنا ما کان یتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله والدفع عنه وعن أصحابه وما قاله فیه من الممادح والثناء، وما أظهره له ولأصحابه من المودّة والمحبّة والشفقة فی أشعاره التی أسلفناها وما تضمّنته من العیب والتنقیص لمن خالفه وکذّبه بتلک العبارة الفصیحة البلیغة الهاشمیة المطلبیة التی لا تدانی ولا تسامی، ولایمکن عربیاً مقاربتها ولا معارضتها، وهو فی ذلک کلّه یعلم أن رسول اللَّه صادق بار راشد، ولکن مع هذا لم یؤمن قلبه..» (۱).

۱- البدایة والنهایة ۱۱: ۱۲۴.

ص: ۱۳۰

انظر إلی هـذه العصبیة من ابن کثیر، فکأنَّه کان فی قلب أبی طالب، فعرف ما فیه!! أو کأنّه- والعیاذ باللَّه- یعلم خائنة الأعین وما تُخفی الصدور!

فتراه یعترف لأبی طالب بأنّه صدَّق النبی صلی الله علیه و آله ولکن لا بقلبه!!

نعم؛ وما نَقَم ابن کثیر وأضـرابه من أبی طالب علیه السـلام إلّاأنّه والـد علی علیه السـلام، ولو کان والد معاویة، لکان حَظّهُ أکثر وأکبر من حظِّ أبی سفیان ونصیبه من الثناء المکذوب والمناقب المفتریات.

ص: ۱۳۱

الفصل الخامس: زيارة النساء للقبور

اشارة

زيارة النساء

للقبور

۱- فاطمة الزهراء تزور قبر حمزة

۲- عائشة تزور قبر أخيها

۳- مناقشة حديث زوارات القبور

۴- فتوى علماء السنّة على الجواز

۵- كلام القسطلانى ذيل رواية أنس

۶- مناقشة طرق الحديث

ص: ۱۳۲

ص: ۱۳۳

لقد ورد عن فاطمة الزهراء عليها السلام انّها كانت تزور قبر حمزة سيّد الشهداء وسائر شهداء احد كل جمعة، أو بالاسبوع مرّتين وهذا كان على عهد أبيها صلى الله عليه و آله، ثم بعد أبيها إلى أن توفيت. ولم يرد نهى لها لا من النبى صلى الله عليه و آله ولا من على عليه السلام ولا من أيٍ من الصحابة، وهى أعرف بدين أبيها من غيرها. فزارت القبور مرّات عديدة.

«كانت فاطمة تزور قبر عمّها حمزة كل جمعة فتصلّى وتبكى عنده» (۱).

وفى رواية: كانت تزور قبور الشهداء باحد بين اليومين والثلاثة، فتصلّى هناك وتدعو وتبكى (۲).

كما ورد عن عائشة انّها كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن بمكة:

۱- قال ابن أبى مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۲ و ۵۷۴، السنن الكبرى ۴: ۱۳۱.

۲- السنن الكبرى ۴: ۱۳۱، مستدرك الحاكم ۱: ۵۳۳.

ص: ۱۳۴

عبدالرحمن بن أبی بکر، ومات بالحُبشی (۱) وقُبِرَ بمکهٔ (۲).

۲- وقال أیضاً: إنّ عائشهٔ أقبلت ذات یوم من المقابر، فقلت لها:

ألیس کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله نهی عن زیارهٔ القبور؟ قالت: کان نهی ثم أمرَ بزیارتها (۳).

مناقشهٔ الحدیث المروی:

واما ما نقل عن النبی صلی الله علیه و آله قال: لعن اللَّه زائرات القبور (۴).

أولًا ففیه مضافاً إلی انه منسوخ بحدیث بریدهٔ کما صرّح بذلک الحاکم والذهبی انه معارض بما روته عائشهٔ عن النبی صلی الله علیه و آله: نهی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عن زیارهٔ القبور ثم أمرَ بزیارتها (۵). وصحّحه الذهبی فی حاشیهٔ المستدرک وقال: الحدیث صحیح.

ثانیاً: معارض بفعل عائشهٔ أیضاً حیث کانت تزور قبر أخیها عبدالرحمن، فانّه مات فُجأهٔ سنهٔ ۵۳ للهجرهٔ بجبل بقرب مکهٔ فأدخلته الحرم ودفنته (۶). فهل کانت عائشهٔ ترید مخالفهٔ سنّهٔ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فتستحق «اللعن» کما فی هذا الحدیث!!

ثالثاً: انّه مخالف لما ثبت عن فعل فاطمهٔ علیها السلام من زیارتها لقبر

۱- جبل بأسفل مکهٔ علی ستّهٔ أمیال، معجم البلدان ۲: ۲۱۴.

۲- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۰.

۳- السنن الکبری ۴: ۱۳۱.

۴- رواه أصحاب السنن، غیر البخاری ومسلم، انظر مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۶۹.

۵- السنن الکبری ۴: ۱۳۱، الحاکم ۱: ۳۷۴.

۶- وفیات الاعیان ۳: ۶۹.

ص: ۱۳۵

النبى صلى الله عليه و آله بعد دفنه وزيارة قبر حمزة والشهداء كل جمعة أو كل اسبوع مرّتين فهل ترى فاطمة تريد مخالفة سنّة ثابتة عن النبى صلى الله عليه و آله؟! أو انها- نعوذ باللَّه- غير عارفة بالسنّة؟! وأهل البيت أدرى بما فى البيت مع أن زيارتها قبور شهداء احد كانت على عهد النبى صلى الله عليه و آله واستمرّت الزيارة سبع سنوات من حياة النبى صلى الله عليه و آله فكيف لم ينهها النبى صلى الله عليه و آله؟

وكذلك زارت قبر النبى صلى الله عليه و آله بعد وفاته؛ فعن على عليه السلام: «لما رمس رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره صلى الله عليه و آله وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول... (۱).

فكيف لم يعارضها على عليه السلام ولا أحد من الصحابة إن كانت زيارة النساء للقبور محرّمة.

رابعاً: ان فتوى علماء السنة على الجواز وأمّا اللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن، وإلّا فزيارة النساء للقبور بشرط الصبر جائزة، كما فى التاج:

۱- «واللعن يفيد تحريم زيارتهن لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن وكل حديث يحرِّم خروجهن للجنازة أو زيارتهن للقبور فمحمول على ذلك، وإلّا فزيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج. وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة، لعموم الحديث الأوّل (۲). ولقول عائشة فى الحديث الثانى: كيف أقول؟ قال:

۱- إرشاد السارى ۳: ۳۵۲.

۲- كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمّد فى زيارة قبر امّه فزوروها فانّها تذكِّر الآخرة، رواه الخمسة إلّاالبخارى واللفظ للترمذى.

ص: ۱۳۶

قولی: السلام علی أهل الدیار من المؤمنین والمسلمین، یرحم اللَّه (۱)...

ولزیارة عائشة لقبر أخیها عبدالرحمن، فلما اعترضها عبداللَّه، قالت: نهی رسول اللَّه عن زیارة القبور ثم أمر بزیارتها» (۲).

۲- قال الملّا علی قاری: «ظاهر هـذا الحدیث- نهیتکم عن زیارة القبور فزورها- العموم، لأن الخطاب فی «نهیتکم» کما انّه عام للرجال والنساء علی وجه التغلیب أو أصالـة الرجال فکـذلک الحکم فی- فزوروها-. مع ان ما قیل من ان الرخصـة عامـة لهنّ. فهذه الأحادیث بتعلیلاتهـا تـدل علی انّ النسـاء کالرجال فی حکم الزیارة. إذا زِرْنَ بالشـروط المعتبرة فی حقهنّ، ویؤیّـده الخبر السابق انّه علیه الصـلاة والسلام، مرَّ بالمرأة فأمرها بالصبر، ولم ینهها عن الزیارة..» (۳).

۳- وقال ابن عبـدالبر: «احتج من أباح زیارة القبور للنساء بما حدّثناه عبداللَّه بن محمد، قال: حدّثنا عبدالحمید... عن ابن أبی ملیکة إنّ عائشـة أقبلت ذات یوم من المقـابر، فقلت لهـا: یـا امّ المؤمنین من أین أقبلتِ؟ قـالت: من قبر أخی عبـدالرحمن، فقلت لهـا: ألیس کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله نهی عن زیارة القبور؟ قالت: نعم، کان نهی عن زیارتها ثم أمرَ بزیارتها (۴).

وعن ابن أبی ملیکة: قال: زارت عائشة قبر أخیها فی هودج.

۱- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۱.

۲- التاج الجامع للُاصول ۲: ۳۸۱.

۳- مرقاة المفاتیح ۴: ۲۴۸.

۴- وقد صحّح الذهبی هذا الحدیث، انظر مستدرک الحاکم ۱: ۳۷۶.

ص: ۱۳۷

قال أبو بکر: وحدّثنا مسرد، قال: حدّثنا نوح بن دراج، عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال: کانت فاطمهٔ بنت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تزور قبر حمزهٔ بن عبدالمطلب کلَّ جمعهٔ وعلَّمته بصخرهٔ (۱).

کلام القسطلانی ذیل روایهٔ أنس:

«مرّ النبیّ صلی الله علیه و آله بامرأهٔ تبکی عند قبر فقال: إتقی اللَّه واصبری، قالت: إلیک عنّی، فانّک لم تُصب بمصیبتی ولم تعرفه...».

فإن قلت: من أین تؤخذ مطابقهٔ الحدیث للترجمهٔ؟ أجیب:

من حیث انّه صلی الله علیه و آله لم ینه المرأهٔ المذکورهٔ عن زیارهٔ القبور سواء کان الزائر رجلًا أو امرأهٔ، وسواء کان المزور مسلماً أو کافراً لعدم الاستفصال فی ذلک.

قال النووی: وبالجواز قطع الجمهور...

وقال: وبالجملهٔ: فتستحب زیارهٔ قبور المسلمین للرجال، لحدیث مسلم: کنت نهیتکم عن زیارهٔ القبور فزوروها فانّها تذکِّر الآخرهٔ.

.. وتکرهٔ للنساء لجزعهن. وأما حدیث أبی هریرهٔ المروی عند الترمذی، وقال حسن صحیح: لعن اللَّه زوارات القبور، فمحمول علی ما إذا کانت زیارتهن للتعدید والبکاء والنوح علی ما جرت به عادتهن.

وقال القرطبی: وحمل بعضهم حدیث الترمذی فی المنع علی من

۱- تمهید شرح الموطا ۳: ۲۳۴.

ص: ۱۳۸

تکثر الزیارهٔ لأن زوارات للمبالغهٔ (۱).

والحاصل: إن زیارهٔ النساء للقبور جائز عند القسطلانی لکن علی کراهیهٔ، واما روایهٔ اللعن، فمحمول علی ما کان فیه التعدید والنوح..

۴- قال ابن عبدالبر- بعد نقل هذه الأحادیث- قال أبو بکر:

وسمعت أبا عبداللَّه- یعنی أحمد بن حنبل- یُسئل عن المرأهٔ تزور القبر، فقال: أرجو إن شاء اللَّه أن لا یکون به بأس.

عائشهٔ زارت قبر أخیها. قال: ولکن حدیث ابن عباس: إنّ النبی لعن زوارات القبور».

ثم قال: هذا أبو صالح ماذا؟ کأنه یضعفه، ثم قال: ارجو إن شاء اللَّه أن عائشهٔ زارت قبر أخیها (۲).

۵- الحافظ الألبانی: فانّه أورد حدیث «لعن رسول اللَّه زائرات القبور». ثم قال: فلم نجد فی الأحادیث ما یشهد له، فهذا القدر من الحدیث (لعن اللَّه المتخذین علیها السرج، ضعیف وان لهج اخواننا السلفیون بالاستدلال به، ونصیحتی إلیهم أن یمسکوا عن نسبته إلیه لعدم صحّته (۳).

۶- قال ابن عابدین، المتوفی عام ۱۲۵۳:

«هل تستحب زیارهٔ قبره صلی الله علیه و آله للنساء؟ الصحیح: نعم بلا کراههٔ بشروطها علی ما صرّح به بعض العلماء، أمّا علی الأصحّ من مذهبنا

۱- إرشاد الساری ۳: ۴۰۰.

۲- التمهید فی شرح الموطا ۳: ۲۳۴.

۳- سلسلهٔ الأحادیث الضعیفهٔ وأثرها السلبی فی الامهٔ: ۲۶۰.

ص: ۱۳۹

وهو قول الکرخی وغیره: من ان الرخصة فی زیارة القبور ثابتة للرجال والنساء جمیعاً فلا إشکال، واما علی غیره فذلک نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب. بل قیل: واجبة، ذکره فی شرح اللباب» (۱).

۷- قال الترمذی: «هذا حدیث حسن صحیح. وقد رأی بعض أهل العلم أنّ هذا کان قَبْلَ أن یُرخِّصَ النبی صلی الله علیه و آله فی زیارة القبور فلما رخّص دخل فی رخصته الرجال والنساء.

وقال بعضهم: إنّما کَرِه زیارة القبور للنساء، لقلّة صبرهن وکثرة جزعهن» (۲).

۸- القسطلانی: «.. ولا یکره لهن زیارة قبر النبی صلی الله علیه و آله بل تندب، وینبغی کما قال ابن الرفعة والقمولی- أن تکون قبور سائر الأنبیاء والأولیاء کذلک» (۳).

بحث فی السند:

إنّ حدیث لعن رسول اللّه زائرات القبور ورد بطرق ثلاث:

۱- عن حسان بن ثابت.

۲- عن ابن عباس.

۳- عن أبی هریرة.

۱- رد المحتار علی الدرّ المختار ۲: ۲۶۳، انظر الغدیر ۵: ۱۲۱.

۲- الجامع الصحیح ۳: ۳۷۲ ذیل باب ۶۲ ح ۱۰۵۶.

۳- إرشاد الساری ۳: ۴۰۰.

ص: ۱۴۰

أ- وقد أورد ابن ماجة الحدیث بطرقه الثلاثة (۱).

ب- کما أورد أحمد الحدیث بطریقین من الثلاثة:

۱- حسّان بن ثابت (۲).

۲- وطریق أبی هریرة (۳).

ج- کما أورد الترمذی الحدیث عن طریق أبی هریرة فقط (۴).

د- وأورد أبو داود الحدیث، عن طریق ابن عباس فقط (۵).

واما البخاری ومسلم فلم یخرجا الحدیثین بالمرّة، کما ان أصحاب السنن لم یتفقوا علی طریق من الطرق، نعم الطریق الثالث: وهو حدیث أبی هریرة اتفق علیه ابن ماجه وأحمد والترمذی.

واما الطریق الأوّل: فاتفق علیه ابن ماجة واحمد.

واما الطریق الثانی: ابن عباس: اتفق علیه أبو داود وابن ماجة.

المناقشة فی الطرق:

اما الطریق الأوّل، الذی نقله ابن ماجه وأحمد، والذی ینتهی إلی حسّان بن ثابت، ففی السند: عبداللَّه بن عثمان بن خثیم: وأحادیثه لیست بالقویة کما روی ابن الدورقی عن ابن معین ولأبی حاتم فیه رأیان: أحدهما انّه: لا یحتج به. وعن النسائی: انّه لیّن الحدیث (۶).

۱- سنن ابن ماجة ۱: ۵۰۲.

۲- مسند أحمد ۳: ۴۴۲.

۳- مسند أحمد ۲: ۳۳۷ و ۳۵۶.

۴- الجامع الصحیح ۳: ۳۷۰.

۵- سنن أبی داود ۳: ۲۱۸.

۶- انظر میزان الاعتدال ۲: ۴۵۹.

ص: ۱۴۱

وفی الطریق: عبدالرحمن بن بَهمان، ولم یحدث عنه سوی ابن خثیم، وقال ابن المدینی: لا نعرفه (۱).

واما الطریق الثانی، فیه أبو صالح وهو باذان، وقال أبو حاتم:

لایحتج به، وقال النسائی: لیس بثقة، وقال ابن عدی: ولم أعلم أحداً من المتقدّمین رضیه (۲).

اما الطریق الثالث- عن أبی هریرة: ففیه عمر بن أبی سلمة، قال النسائی: لیس بالقوی، وقال ابن خُزیمة: لایحتج بحدیثه.

وقال ابن معین: هو ضعیف.

وقال أبو حاتم: لایحتج به (۳).

فالحدیث بکل طرقه مورد للإشکال السندی، ولعلّه لهذا لم یخرجّهُ الشیخان فی صحیحیهما.

أضف إلی الإشکالات والمعارضات التی أوردناها. وکلام الفقهاء فی شرح الحدیث، وفتواهم فی جواز بل استحباب زیارة القبور للنساء والرجال.

۱- انظر میزان الاعتدال ۲: ۵۵۱.

۲- تهذیب الکمال ۴: ۶.

۳- سیر أعلام النبلاء ۶: ۱۳۳.

ص: ۱۴۲

ص: ۱۴۳

الفصل السادس: الصلاة والدعاء عند القبور

اشارة

الصلاة والدعاء

عند القبور

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- سیرة فاطمة الزهراء علیها السلام

۴- سیرة المسلمین

۵- تصریحات مخالفة لرأی الوهابیة

۶- استقبال القبلة أم القبر الشریف

۷- شرح حدیث النهی عن اتخاذ القبور مساجد

۸- فتوی الفقهاء حول الصلاة فیا لمقبرة

ص: ۱۴۴

ص: ۱۴۵

منعت الوهابية الصلاة والدعاء عند القبور وجعلتها شركاً وكفراً.

قال ابن تيمية: «إنّ الصحابة كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبى صلى الله عليه و آله يسلّمون عليه، فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا اللَّه مستقبلى القبر الشريف، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون اللَّه كما فى سائر البقاع.. ولهذا لم يذكر أحد من أئمّة السلف أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدها مستحبة ولا ـ ان الصلاة والدعاء هناك أفضل منهما فى غيرهما، بل اتفقوا كلّهم على ان الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين، سُميّت مشاهد أم لم تُسمّ» (۱).

والجواب:

أوّلًا: يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله وقبور سائر الأنبياء والصالحين، عموم ما دلَّ على جواز الصلاة والدعاء فى

۱- رسالة زيارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۴۶

كل مكان، فالعمومات والاطلاقات تدل على الجواز.

ثانياً: ويـدل على رجحان الصـلاة والدعاء عند القبور، ما فهم من الشـرع من رجحان الصـلاة والدعاء ومطلق العبادة فى كل مكان ثبت شرفه فى الشرع، ولاشك فى تشرّف المكان بالمكين (شرف المكان بالمكين) والموجب لتشرّف القبر هو حلول جسده الطاهر فيه.

ثالثاً: ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه و آله قوله تعالى:

ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللَّه.. (۱).

فإنّ كلمـة «جاؤوك» شامل لحالتى الحياة والموت، وان حرمته صـلى الله عليه و آله حيّاً كحرمته ميّتاً، كما صـرّح بـذلك الإمام مالك للمنصور فيما مضى من البحث.

يقول شمس الدين الجزرى: «إن لم يُجب الدعاء عند النبى صلى الله عليه و آله ففى أى موضع يستجاب!!؟»

رابعاً: سيرة فاطمة الزهراء عليها السلام

إنّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة فى كل يوم جمعة فتصلّى وتبكى عنده (۲).

قـال الحـاكم: «هـذا الحـديث رواته عن آخرهم ثقات وقـد استقصـيت فى الحث عن زيارة القبور تحرياً للمشاركـة فى الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه انها سنّة مسنونة».

۱– النساء: ۶۴.

۲– مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۴، الحاكم ۱: ۳۷۷، السنن الكبرى ۴: ۱۳۱، تمهيد شرح موطا مالك لابن عبد البر ۳: ۲۳۴.

ص: ۱۴۷

والملاحظ: أن حمزة استشهد فی العام الثالث للهجرة، وتوفی النبی صلی الله علیه و آله فی العام العاشر. ففاطمة کانت فی هذه الفترة یعنی مدّة سبع سنوات کل یوم جمعة تغادر المدینة متوجهة إلی أُحد تزور قبر حمزة، بمرأی ومنظر من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولم یرد منه نهی لها.

ثم انها عاشت بعد أبیها علی قول السنة (۱) ستّة أشهر، فکذلک کانت تزور القبر- حمزة- بمرأی ومنظر من کل الصحابة ومن علی بن أبی طالب علیه السلام ولم یرد منهم نهی فی شأنها.

وفی روایة: کانت تزور قبور الشهداء بأُحد بین الیومین والثلاثة، فتصلّی هناک وتدعو وتبکی (۲).

تُری هل خفیت السنّة علی فاطمة الزهراء علیها السلام، التی یرضی اللَّه لرضاها ویغضب لغضبها (۳)، فجاءت بزیارتها القبور لما یخالف هذه السنّة!!

ولم یخف الأمر علی ابن تیمیة لیتجرّأ فیدّعی أنّه: «لم یذکر أحدٌ من أئمة السلف أنّ الصلاة عند القبور وفی مشاهدها مستحبّة» (۴)!؟

خامساً: سیرة المسلمین

کما ان سیرة المسلمین من زمن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا

۱- سیر أعلام النبلاء ۲: ۱۲۷.

۲- وفاء الوفاء ۳: ۹۳۲، کشف الارتیاب ۲: ۴۸۱.

۳- فتح الباری ۷: ۱۳۱.

۴- زیارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۴۸

جارية على الدعاء والصلاة عند قبور الصالحين والمؤمنين (۱).

۱- عمر بن الخطاب:

«الطبرى: «لما خرج عمر حاجّاً فى نفرٍ من أصحابه، فاستغاث به شيخ، فلما انصرف عمر ونزل ذلك المنزل- بالأبواء- واستخبر عن الشيخ، وعرف موته، قال: كأنى أنظر إلى عمر، وقد وثبَ مباعداً ما بين خطاه حتى وقف على القبر- قبر الشيخ- فصلّى عليه، ثم اعتنقه وبكى» (۲).

۲- الإمام الشافعى: «إنى لأتبرّك بأبى حنيفة وأجيىء إلى قبره فى كل يوم فإذا عرضت لى حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت اللَّه تعالى الحاجة عنده، فما تبعد حتى تقضى» (۳).

۳- قبر معروف الكرخى: «عن الزهرى قبر معروف الكرخى مجرّب لقضاء الحوائج، ويقال انّه من قرأ عنده مائة مرّة قل هو اللَّه أحد وسأل اللَّه ما يريد قضى اللَّه حاجته» (۴).

وقال ابراهيم الحربى: قبر معروف: الترياق المجرّب، قال الذهبى:

۱- يرى ابن الجزرى ان استجابة الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين تثبت بالتجربة، وأقرّهُ الشوكانى فى تحفة الذاكرين ص ۴۶ ولكن قيده بشروط: انظر سير أعلام النبلاء ۱۰: ۱۰۷ «الهامش».

۲- الرياض النضرة ۲: ۳۳۰.

۳- صلح الاخوان: ۸۳ للخالدى، الغدير ۵: ۱۹۲، تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳، مفتاح السعادة ۲: ۱۹۳ طاش كبرى زاده.

۴- معجم الطبرانى ۱: ۱۲۲، الغدير ۵: ۱۹۳، تاريخ بغداد ۱: ۱۲۲.

ص: ۱۴۹

يريد إجابة دعاء المضطر عنده، لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء (۱) وعن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً التابعی الجلیل عن معروف الكرخی؟ فقال: هیهات.. فمن كانت له إلی اللَّه حاجة فلیأت قبره ولیدع، فانّه یستجاب له إن شاء اللَّه (۲).

وعن ابن سعد: «یستسقی بقبره، وقبره ظاهر یزار لیلًا ونهاراً» (۳).

وعن سبط بن الجوزی: انه سمع مشایخه ببغداد یحكون أنّ عون الدین قال: كان سبب ولایتی المخزن اننی ضاق ما بیدی حتی فقدت القوت أیاماً فأشار علیَّ بعض أهلی أن أمضی إلی قبر معروف الكرخی، فأسالُ اللَّه تعالی عنده، فان الدعاء عنده مستجاب (۴). قال:

۱- سیر أعلام النبلاء ۹: ۳۴۳.

۲- صفة الصفوة ۲: ۳۲۴، الغدیر ۵: ۱۹۳.

۳- الطبقات الكبری ۱: ۲۷، وفیات الأعیان: ۵: ۲۳۲.

۴- أقول: إن صحّ ذلك فلعلّه بسبب میله إلی أهل البیت وخدمته للرضا علیه السلام كما حكی عن أبیعبدالرحمن السلمی: ان معروف الكرخی كان یحجب علی بن موسی الرضا علیه السلام.

وعن السید الخوئی: عن الشهرزوری فی مناقب الأبرار: ان معروف الكرخی كان من موالی علی بن موسی الرضا علیه السلام، وكان أبواه نصرانیین فسلّما معروفاً إلی المعلم وهو صبی وكان المعلِّم یقول له قل: ثالث ثلاثة وهو یقول: بل هو الواحد فضربه المعلِّم ضرباً مبرحاً، فهرب ومضی إلی الرضا علیه السلام وأسلم علی یده ثم إنّه أتی داره فدقَّ الباب فقال أبوه: من بالباب فقال: معروف، فقال علی أی دین؟ قال: علی دینی الحنیفی، فأسلم أبوه ببركات الرضا علیه السلام قال معروف: فعشتُ زماناً ثم تركتُ كلّما كنتُ فیه الّا خدمة مولای علی بن موسی الرضا. معجم رجال الحدیث ۱۸: ۲۳۱ وعن ابن خلكان وغیره نظیره. ولكن النمازی تنظَّر فیه مستدركات علم الرجال ۷: ۴۵۴ وكذلك الذهبی ۹: ۳۴۳.

ص: ۱۵۰

فـأتيت قبر معروف، فصـلّيت عنـده ودعوت ثم خرجت لأقصـد البلـد يعنى بغـداد فـاجتزت بقطفتـا (۱)- قـال: فرأيت مسـجداً مهجوراً فـدخلت لُاصـلّى ركعتين، وإذا بمريض ملقى على بارية، فقعدت عند رأسه وقلت: ما تشـتهى؟ فقال: سـفرجلة، قال: فخرجت إلى بقال هناك فرهنتُ عنده مئزرى على سـفرجلتين وتفاحة وأتيتهُ بذلك، فأكل من السفرجلة، ثم قال: أغلق باب المسجد، فأغلقته، فتنحى عن الباريـة وقال: احفر هاهنا، فحفرت وإذا بكوز، فقال: خذ هذا فأنت أحق به، فقلت: أما لك وارث؟ فقال: لا، وإنّما كان لى أخ وعهدى به بعيد وبلغنى انّه مات ونحن من الرصافة.. وبينا هو يحدّثنى إذ قضى نحبه فغسلته وكفنتهُ ودفنته... ثم صعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ثم تدرّجت الوزارة (۲).

۴- قبر الشافعى: قال الجزرى: والدعاء عند قبره مستجاب (۳).

۵- قبر بكار البكراوى الحنفى ت ۲۷۰ ه.

دفن بالقرافة وقبره مشهور يزار ويتبرّك به ويقال: إنّ الدعاء عند قبره مستجاب (۴).

۱- محلة كبيرة ذات الأسواق بالجانب الغربى من بغداد، معجم البلدان ۴: ۳۷۴.

۲- وفيات الأعيان ۶: ۲۳۹.

۳- طبقات القراء ۲: ۹۷.

۴- الجواهر المضيئة ۱: ۴۶۱.

ص: ۱۵۱

۶- الحافظ العامری ت ۴۰۳ ه.

عکف الناس علی قبره لیالی یقرؤون القرآن ویدعون له (۱).

۷- أبو بکر الاصبهانی ت ۴۰۶ ه.

دفن بالحیرة من نیسابور ومشهده بها ظاهر یزار ویستسقی به وتجاب الدعوة عنده (۲).

۸- قبر السیدة نفیسة:

هی ابنة أبی محمد الحسن بن زید، وعن ابن خلکان: دفنت بدرب السباع وقبرها معروف بإجابة الدعاء وهو مجرّب رضی اللَّه عنها (۳).

۱- الغدیر ۵: ۲۰۲، البدایة والنهایة ۱۱: ۴۰۴.

۲- وفیات الأعیان ۴: ۲۷۲.

۳- وفیات الأعیان ۵: ۴۲۴.

أقول: «هی ابنة أبی محمد الحسن بن زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب رضی اللَّه عنهم، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضی الله عنه، وقیل: بل دخلت مع أبیها الحسن، وان قبره بمصر لکنّه غیر مشهور.. وکانت نفیسة من النساء الصالحات التقیّات، ویروی ان الامام الشافعی لما دخل مصر حضر إلیها وسمع علیها الحدیث وکان للمصریین فیها اعتقاد عظیم وهو إلی الآن باقٍ کما کان، ولمّا توفی الشافعی، ادخلت جنازته إلیها وصلّت علیه فی دارها، وکانت مقیمة فی موضع مشهدها الیوم ولم تزل به إلی أن توفیت فی شهر رمضان سنة ثمان ومائتین.

ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق علی حملها إلی المدینة لیدفنها هناک، فسأله المصریون بقاءها عندهم فدفنت فی الموضع المعروف فیها الآن بین القاهرة ومصر عند المشاهد.. وقبرها معروف بإجابة الدعاء.. وفیات الأعیان ۵: ۴۲۴.

وقال الذهبی: قیل کانت من الصالحات العوابد والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبیاء والصالحین.. سیر أعلام النبلاء ۱۰: ۱۰۷.

ص: ۱۵۲

۹- قبر نصر بن إبراهيم المقدسی ت ۴۹۰ ه شيخ الشافعية

قال النووی: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب (۱).

۱۰- قبر أبی الحسن المصری فقيه الشافعية ت ۴۹۲

قال ابن الأنماطی: قبره بالقرافه يُعرف بإجابة الدعاء عنده (۲).

۱۱- قبر القاسم بن فيره الشاطبی ت ۵۹۰ ه

دفن بالقرافة وقبره مشهور معروف. قال صاحب طبقات القراء:

وقد زرته مرّات وعرض علیَّ بعض أصحابی الشاطبية عند قبره، ورأيتُ بركة الدعاء عند قبره بالإجابة (۳).

تصريحات مخالفة لرأى الوهابية:

۱- السيوطی فی قصة المعراج: روی عن النبی صلی الله عليه و آله: ركبت ومعی جبرئيل، فسرت، فقال: انزل، فصلِّ، ففعلت فقال: أتدری أين صلّيت؟ صلّيت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال: إنزل فصلِّ، ففعلتُ، فقال: أتدری أين صلّيت؟ صلّيت بطور سيناء حيث كلَّم اللَّه موسی.

ثم قال: انزل فصلِّ، ففعلت، فقال: أتدری أين صلّيت؟ صلّيت

۱- شذرات الذهب ۵: ۳۹۷ حوادث سنة ۴۸۸.

۲- شذرات الذهب ۵: ۴۰۲ حوادث سنة ۴۹۰ ه.

۳- طبقات القراء ۲: ۳۲.

ص: ۱۵۳

ببيت لحم حيثُ وُلِدَ عيسى (۱).

فلو كان محل ولادة عيسى هذا شأنه، وان النبى محمد صلى الله عليه و آله ينزل فيصلى فيه، فمحل ولادة خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه و آله ومحل دفنه أعلى شأناً وأولى بأن يُصلّى فيه.

۲- قال ابن القيم الجوزيـة- تلميذ ابن تيمية-: إن عاقبة صبر هاجر وابنها على البُعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه من جَعْلِ آثارهما وموطئ أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة (۲).

انظر إلى كلام ابن القيم؛ فإنّه يرى موطئ قدم هاجر وإسماعيل محل العبادة والصلاة والمناسك إلى يوم القيامة. فِلمَ لايجوز أن يكون محل ولادة النبى ودفنه وموطئ قدمه متعبّداً للمؤمنين إلى يوم القيامة؟

۳- ابن الجزرى: «إن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين» (۳).

استقبال القبلة أم القبر الشريف حين الدعاء

نسب ابن تيمية إلى الصحابة أنهم لم يدعوا اللَّه مستقبلى القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة..» (۴).

۱- الخصاص الكبرى للسيوطى، كشف الارتياب: ۲۴۷.

۲- كشف الارتياب: ۴۲۸، عن زاد المعاد.

۳- اورده المعلق فى هامش المواهب اللّدنية ۳: ۴۰۶ عن كتاب الحصن الحصين.

۴- رسالة زيارة القبور: ۱۵۹.

ص: ۱۵۴

والجواب:

أوّلًا: إنّ ابن تيميـة لم يـذكر اسم صـحابى واحـد كان قـد انحرف عن القبر إلى القبلة فى الدعاء ولو مرّة واحدة، بل برغم انه قد نسـب ذلك إلى كل الصـحابة! مع انه قد ورد عن ابن عمر- وهو من الصـحابة- خلاف ذلك وان من السـنة أن يستقبل القبر المكرّم ويجعل ظهره للقبلة (۱).

ثانياً: لا مانع من استقبال القبر عند الدعاء، وذلك للآية الكريمة أينما تولّوا فثمَّ وجه اللَّه (۲).

ثالثاً: فتوى الفقهاء على خلاف ذلك:

أ- فتوى مالك: حينما سأله المنصور: أسـتقبل القبلة وأدعو أم أسـتقبل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى اللَّه تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك اللَّه تعالى.. (۳).

وفى هـذا السؤال دلالـة واضـحة على ان الـدعاء عنـد القبر الشـريف كان مشـهوراً- ومرتكزاً- لايشك فى جوازه ورجحانه وانما الذى توقف فيه المنصور، هو ان استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر الشريف (۴).

۱- كشف الارتياب ۲۴۷ و ۳۴۰ و الغدير ۵: ۱۳۴.

۲- البقرة: ۱۱۵.

۳- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۶، المواهب اللدنية ۳: ۴۰۹.

۴- الغدير ۵: ۱۳۵، انظر كشف الارتياب ۲۴۷- ۳۴۰، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ۲: ۹۲.

ص: ۱۵۵

ب- الخفاجی: «استقبال وجهه صلى الله عليه و آله واستدبار القبلة مذهب الشافعی والجمهور. ونقل عن أبی حنيفة (۱).

ج- ابن الهمام محقق الحنفية: ما نقل عن أبی حنيفة انّه يستقبل القبلة مردود بما روی عن ابن عمر من السنة ان تأتی قبر رسول اللَّه من قِبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر.. وهو الصحيح من مذهب أبی حنيفة.. وقول الكرمانی: إن مذهبه بخلافه ليس بشیء لأنّه حی فی ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه فی حياته انّما يتوجه إليه» (۲).

د- إبراهيم الحربی فی مناسكه: تولی ظهرك القبلة وتستقبل وسطهُ- يعنی القبر (۳).

ه- وعن ابی موسی االاصبهانی: انه روی عن مالك انه قال: اذا اراد الرجل أن يأتی قبر النبی صلى الله عليه و آله فيستدبر القبلة ويستقبل النبی صلى الله عليه و آله ويصلی عليه ويدعو.

و- وقال السمهودی، وعن اصحاب الشافعی وغيره: يقف وظهره الی القبلة ووجهه الی الحَظيره، وهو قول ابن حنبل (۴).

ز- السختيانی: «عن أبی حنيفةقال: جاء أيوب السختيانی فدنا من قبرالنبی صلى الله عليه و آله فاستدبر القبلة و أقبل بوجهه إلى القبر و بكی بكاءً غير متباك (۵)

۱- شرح الشفا ۳: ۵۱۷.

۲- المصدر نفسه.

۳- كشف الارتياب ۳۲۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۵- المصدر نفسه.

ص: ۱۵۶

ح- ابن جماعة: ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدّس مستدبر القبلة فيسلّم. وشذ الكرمانى فقال: يقف للسلام مستدبر القبر» (۱).

ط- ابن المنكدر: قال ابراهيم بن سعد رايت ابن المنكدر يصلى فى مقدم المسجد فاذا انصرف مشى قليلًا ثم استقبل القبلة ومدّ يديه ودعا ثم ينحرف عن القبلة ويشهِّر يديه ويدعو، يفعل ذلك حين يخرج فعل المودع» (۲).

ثالثاً: ما المانع من الصلاة بقرب القبر تبرّكاً بالمكان المدفون فيه النبى صلى الله عليه و آله كما يصلون عند المقام الذى هو حَجَر ولكن تشرف بملامسة رِجْلِ إبراهيم، لقوله تعالى: واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلّى (۳).

واما كلام ابن تيمية: «إنّ الصلاة فى البيت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين» (۴).

هذه دعوى مجرّدة عن الدليل، وهل صرّح بذلك أحد من أئمّة السلف، فضلًا عن نسبة ذلك إلى جميعهم»!!

معنى حديث النهى عن اتخاذ القبور مساجد:

أما حديث لعن اللَّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،

۱- كشف الارتياب ۳۲۶، وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

۲- سير اعلام النبلاء ۵: ۳۵۸.

۳- البقرة: ۱۲۵.

۴- وفاء الوفاء ۴: ۱۳۷۸.

ص: ۱۵۷

وحديث: اللهم لا تجعل قبرى وثناً (۱) يعبد، اشتدّ غضب اللَّه على قوم، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

ففيه: أوّلًا: نقاش سندى، إذ على رواية النسائى:- فى طريقه عبد الوارث وقد رموه بأنّه كان يرى القدر- أى الاعتزال- وكانوا لا يصلّون خلفه، وكان حماد ينهى عن عبد الوارث (۲).

وفيه أيضاً أبو صالح، وهو مردد بين مجاهيل وضعاف وثقات والمحتمل أنه: باذام مولى ام هانى، وهو متروك الحديث، أو ضعيف أو كذّاب (۳).

واما رواية ابن ماجة: ففيه عبداللَّه (۴) بن عثمان، وقالوا فيه: انّه ليس بالقوى، أو يخطئ، أو منكر الحديث.

واما ابن بهمان فعن ابن المدينى: انه لا نعرفه.

واما رواية الموطأ: فهى مرسلة كما صرح بذلك ابن عبد البر لأن عطاء بن يسار لم يدرك النبىِّ (۵).

ثانياً: لا يدل الحديث على ما زعمه ابن تيمية والوهابيون من عدم جواز الصلاة عند القبور وفى مشاهدها وبناء المساجد عليها.

۱- أحمد ۲: ۲۴۶، موطا ۱: ۱۷۲ ح ۸۵. البخارى ۴۸ الصلاة مسلم ۱۹، المساجد. أحمد ۱: ۲۱۸.

۲- ميزان الاعتدال ۲: ۶۷۷.

۳- ميزان الاعتدال ۴: ۵۳۸.

۴- ميزان الاعتدال ۲: ۴۵۹، الكامل فى الضعفاء ۴: ۱۶۱.

۵- الموطأ ۱: ۱۷۲، سير اعلام النبلاء ۴: ۴۴۸.

ص: ۱۵۸

وذلـك لأـن الظاهر منه: انّه إشارة إلى روايـة كنيسـة الحبشـة؛ إذا مات منهم الرجل الصالـح بنوا على قبره مسـجداً ثم صوروا فيه تلك الصور..

وسـبب الـذم هو اتخـاذهم قبور أنبيائهم مساجـد بتلك الحالـة وهى تصويرهم الصورة وعبادتها والصـلاة والسـجود إليها أو إليها وإلى القبر.

كما يصلى إلى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية.

فالنهى عن اتخاذها مساجـد هو فيما لو كان من هـذا السـنخ، واما لو بنى المسـجد على القبر، ولكنّه صـلّى إلى القبلـة ومتوجهاً إلى اللّه تعالى، فلا إشكال فيه، كما يصلى اليوم فى المسجد النبوى الشريف، أو الجامع الأموى بدمشق وفيه قبر النبى زكريا عليه السلام.

۱- قال القرطبى: «انّما صور أوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتـذكّروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون اللّه عند قبورهم ثم خلّفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان: ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذّر النبى عن مثل ذلك» (۱).

۲- قـال النووى: إن كـان البناء فى ملك البانى فمكروه، وإن كان فى مقبرة مسـبلة، فحرام، نصَّ عليه الشافعى والأصـحاب.. تجصـيص القبر مكروه (۲).

۱- إرشاد السارى ۳: ۴۹۷ و ۲: ۹۹، انظر صحيح مسلم ۱: ۱۹۷ الهامش.

۲- شرح صحيح مسلم ۳: ۶۲.

قال ابن رفعـة: ويسـتثنى مقبرة الأنبياء فلا كراهة فيها لأن اللّه حرّم على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأنّهم أحياء فى قبورهم يصـلّون... وقال: يحرم أن يصلّى متوجّهاً إلى قبره عليه الصلاة والسلام ويكره إلى غيره مستقبل الآدمى لأنه يشغل القلب غالباً ويقاس بما ذكر فى قبره سائر قبور الأنبياء... إرشاد السارى ۲: ۹۷.

ص: ۱۵۹

۳- قال القسطلانی قوله: بنوا علی قبره مسجداً» مؤوّل علی مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحریم لاسیما وقد ثبت اللعن علیه، لکن صرّح الشافعی وأصحابه بالکراهة (۱).

۴- وقال البندینجی المراد: ان یسوی القبر مسجداً فیصلّی فیه، وقال: انّه یکره ان یبنی عنده مسجد فیصلّی فیه إلی القبر. واما المقبرة الدائرة إذا بنی فیها مسجد لیصلّی فیه فلم أر فیه بأساً لأن المقابر وقف وکذا المسجد فمعناهما واحد.

۵- قال البیضاوی: لما کانت الیهود والنصاری یسجدون لقبور الأنبیاء تعظیماً لشأنهم ویجعلونها قبلة یتوجّهون فی الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، لعنهم النبی صلی الله علیه و آله ومنع المسلمین من مثل ذلک، فأما من اتخذ مسجداً فی جوار صالح وقصد التبرّک بالقرب منه، لا للتعظیم ولا للتوجّه إلیه فلا یدخل فی الوعید المذکور (۲).

۶- وقال السندی: «اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد. أی قبلة للصلاة یصلّون إلیها أو بنوا مساجد علیها یصلّون فیها، ولعلّ وجه الکراهة انّه قد یفضی إلی عبادة نفس القبر، سیما فی الأنبیاء والأخیار..» (۳).

۱- انظر ارشاد الساری ۹: ۴۷۷ و ۷: ۴۶۲.

۲- إرشاد الساری ۳: ۴۷۹.

۳- سنن النسائی ۴: ۹۶.

ص: ۱۶۰

۷- النووی: قال العلماء انّما نهی النبی صلی الله علیه و آله عن اتخاذ قبره وقبر غیره مسجداً خوفاً من المبالغهٔ فی تعظیمه والافتتان به فربما أدّی ذلک إلی الکفر کما جری لکثیر من الامم الخالیهٔ. ولمّا احتاجت الصحابهٔ والتابعون إلی الزیادهٔ فی مسجد رسول اللّه صلی الله علیه و آله حین کثر المسلمون وامتدت الزیادهٔ إلی أن دخلت بیوت امهات المؤمنین فیه ومنها حجرهٔ عائشهٔ مدفن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وصاحبیه بنوا علی القبر حیطاناً مرتفعهٔ مستدیرهٔ حوله لئلا یظهر فی المسجد فیصلّی إلیه العوام ویؤدی إلی المحذور ثم بنوا جدارین من رکنی القبر الشمالیین وحرفوهما حتی التقیا حتی لا یتمکن أحد من استقبال القبر ولهذا قال فی الحدیث ولولا ذلک لأبرز قبره، غیر أنه خشی أن یتخذ مسجداً..» (۱).

فتوی الفقهاء، حول الصلاهٔ فی المقبرهٔ:

۱- رأی مالک: «قلت لابن القاسم هل کان مالک یوسع ان یصلّی الرجل وبین یدیه قبر یکون سترهٔ له؟ قال: کان مالک لا یری بأساً بالصلاهٔ فی المقابر وهو إذا صلّی فی المقبرهٔ کانت القبور بین یدیه وخلفه وعن یمینه وشماله. وقال مالک لابأس بالصلاهٔ فی المقابر. قال: وبلغنی ان بعض أصحاب النبی صلی الله علیه و آله کانوا یصلّون فی المقبرهٔ (۲).

۲- عبد الغنی النابلسی: «وامّا من اتخذ مسجداً فی جوار صالح أو صلّی فی قبره، وقصد به الاستظهار بوجه أو وصول أثر من آثار

۱- شرح النووی ۵: ۱۴.

۲- المدوّنهٔ الکبری ۱: ۹۰.

ص: ۱۶۱

عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجّه إليه فلا حرج إذ مرقد اسماعيل عند الحطيم من المسجد الحرام، ثم ان ذلك الموضع أفضل مكان يصلّى فيه» (۱).

۳- وقال أيضاً: «واما إذا كان موضع القبور مسجداً أو على طريق. أو كان هناك أحدٌ جالس. أو ان قبر وليّ من أولياء اللَّه أو عالم من المحقّقين، تعظيماً لروحه المشرقة على تراب جسده كاشراق الشمس على الأرض، اعلاماً للناس انّه وليّ، ليتبرّكوا به ويدعوا اللَّه عنده، فيستجاب لهم، فهو أمر جائز لا مانع منه، والأعمال بالنيّات» (۲).

۴- الأبى المالكى- كما عن الكوثرى- «من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح أو صلى فى مقبرته قصداً للتبرّك بآثاره وإجابة دعاه هناك فلا حرج فى ذلك، واحتج لذلك بأن قبر إسماعيل عليه السلام فى مسجد الحرام عند الحطيم ثم ان ذلك الموضع أفضل مكان للصلاة فيه» (۳).

۵- البغوى: «منهم من ذهب إلى ان الصلاة فيها جائزة إذا صلّى فى موضع نظيف منه.

وروى ان عمر رأى أنس بن مالك يصلّى عند قبر، فقال: القبر القبر. ولم يأمره بالإعادة، وحكى عن الحسن انّه صلّى فى المقابر. وعن مالك: لا بأس بالصلاة فى المقابر.

۱- الحديقة النديّة ۲: ۶۳۱.

۲- الحديقة النديّة ۲: ۶۳۰.

۳- المقالات للكوثرى: ۲۴۶، شرح صحيح مسلم ۲: ۲۳۴.

ص: ۱۶۲

وتأويل الحـديث، هو ان الغالب من أمر الحمام قـذارة المكان ومن أمر المقابر اختلاط تربتها بصديد الموتى ولحومها. فالنهى لنجاسـة المكان، فإن كان المكان طاهراً فلابأس» (۱).

هل يبقى مجال للوهابيين بعـد هـذه الفتاوى والآراء الصـريحة أن يتّهموا من يصـلّى فى المشاهـد والمقابر، بالشـرك والكفر، وانه يريد عبادة صاحب القبر؟! وقد صلّى أنس بن مالك والحسن البصرى بين المقابر!!

۱- شرح السنة، للبغوى ۲: ۳۹۸.

ص: ۱۶۳

الفصل السابع: بناء القبور وعقد القباب

اشارة

بناء القبور

وعقد القباب

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- مناقشة طرق الحدیث

۴- سیرة الصحابة وعموم المسلمین

۵- نماذج من القبور المبنیة والقباب

۶- مناقشة طرق حدیث ابن الزبیر

۷- مناقشة دلالة الحدیث

ص: ۱۶۴

ص: ۱۶۵

هذا ما حرّمه الوهابيون واعتبروا ذلک شرکاً وکفراً، وأوجبوا هدم القبور والقباب التی علیها، والبناء الذی حولها، وفیما یلی أقوالهم:

۱- قال الصنعانیّ: إن المشهد بمنزلهٔ الوثن والصنم، إنَّ ما کانت تفعله الجاهلیهٔ لما یسمونه وثناً وصنماً هو الذی یفعله القبوریون لما یسمونه ولیاً وقبراً ومشهداً، وذلک لایخرجه عن اسم الوثن والصنم» (۱).

۲- وعن ابن القیم (تلمیذ ابن تیمیهٔ): یجب هدم المشاهد التی بُنیت علی القبور التی اتخذت أوثاناً وطواغیت تعبد من دون اللّه ولایجوز إبقاؤها بعد القدرهٔ علی هدمها وابطالها یوماً واحداً فانّها بمنزلهٔ اللات والعزی، أو أعظم شرکاً عندها، وبها (۲)..

۳- وصرّح الوهابیون فی کتابهم إلی شیخ الرکب المغربی: إن ما

۱- کشف الارتیاب: ۲۸۶ عن تطهیر الاعتقاد.

۲- زاد المعاد: ۶۶۱.

ص: ۱۶۶

حدث من تعظيم قبور الأنبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الامور التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه و آله بقوله: لاتقوم الساعة حتى يلحق حىّ من امتى بالمشركين وحتى يعبد فئام من امّتى الأوثان (۱).

۴- وقال قاضى قضاتهم عبداللّه بن سليمان بن بليهد فى جريدة امّ القرى ۱۳۴۵ ه. ق: لم نسمع فى خير القرون، ان هذه البدعة حدثت فيها، بل بعد القرون الخمسة (۲).

۵- وفى الجواب المنسوب لعلماء المدينة: اما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحّة الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا افتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث على: انه قال لأبى الهياج: ألا أبعثكَ على ما بعثنى عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلّاسوّيته.

مناقشة الفكرة

والجواب:

اما الاجماع: فممنوع بل هذا العمل جائز إجماعاً لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب الإسلامية فى كل عصر وزمان: عالمهم وجاهلهم، مفضولهم وفاضلهم أميرهم ومأمورهم رجالهم ونسائهم، قبل الوهابية. والسيرة إجماع عملى لأنها كاشف قطعى عن انه مأخوذ

۱- انظر كشف الارتياب: ۲۸۷.

۲- المصدر نفسه.

ص: ۱۶۷

من صاحب الشرع.

ويؤيـده اعتراف الصـنعانى نفسه بهـذه السـيرة- فى رسـالته تطهير الاعتقاد- حيث أورد على نفسه سؤالًا: بأن هـذا الأمر عمَّ البلاد وطبَّق الأرض شـرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلّاوفيها قبور ومشاهد، بل مساجد المسلمين غالبها لاتخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة فى جميع الدنيا.

فأجاب: إن أردت الإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه العوالم جيلًا بعد جيل.

فاعلم ان هـذه الامور صادرة عن العامـة الـذين إسـلامهم تقليد الآباء بلا دليل ولا يسـمعون من أحد عليهم من نكير بل ترى من يتسـم بـالعلم ويـدّعى الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتـدريس، أو الولايـة أو المعرفـة أو الامارة والحكومـة، معظماً لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه، ولايخفى أن سكوت العالم أو العالِم على وقوع المنكر ليس دليلًا على جوازه..»

وقفة مع الصنعانى:

أولًا: فى هـذا النص اعتراف من الصـنعانى بوقوع السـيرة على أكمل وجوهها واعترف بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوالم والعلماء والفضـلاء والقضاة والمفتين والمدرسـين، والأولياء والعارفين والامراء والحكّام بـدون إنكار، ولم تخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات، فأى سيرة أقوى من هذه وأشمل.

ص: ۱۶۸

ثانياً: قوله: إن الحق ما قام عليه الدليل، فنقول: ان اتفاق الامة جيلًا بعد جيل دليل قطعى، لا دليل أقوى منه.

اما الاستدلال بصحّة الحديث:

ففيه:

أولًا: صحّة الحديث فى نظرهم ووضوح دلالته عندهم وخلوّه عن المعارض لايوجب، صحته ووضوحه فى نظر غيرهم، فكيف يدعى الاجماع اعتماداً على دعوى صحة الحديث.

ثانياً: التناقض والتهافت فى كلامه: إذ تارة يقول: أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه وتارة يقول: الحديث الدال على التحريم مجمع على صحته. فلو كان مجمعاً على صحته، فلماذا لم يفت جميعهم بوجوب الهدم بل أفتى الكثير- على حسب دعواهم.

ثالثاً: النقاش فى سند الحديث ودلالته:

«حدّثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب، قال يحيى: أخبرنا وقال الآخران: حدّثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب ابن أبى ثابت، عن أبى وائل، عن أبى الهيّاج الأسدى، قال: قال لى على عليه السلام: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول اللّه صلى الله عليه و آله لا تدَع تمثالًا إلّا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلّاسوّيته» (۱).

اما النقاش السندى؛ ففيه من ضعَّفه علماء الرجال ومتخصصوا الفن.

۱- صحيح مسلم ۳: ۶۱، الترمذى ۲: ۲۵۶.

ص: ۱۶۹

اما وكيع: وهو ابن الجراح الرواسى.

۱- قال عبداللّه بن أحمد بن حنبل: سمعت ابى يقول: ابن مهدى أكثر تصحيفاً من وكيع: ووكيع أكثر خطأ من ابن مهدى.

۲- وقال عبداللّه بن أحمد فى موضع آخر: سمعت أبى يقول: أخطأ وكيع فى خمس مئة حديث (۱).

۳- وقال ابن المدينى: كان وكيع يلحن، ولو حدثت بألفاظه لكانت عجباً، كان يقول: حدّثنا الشعبى، عن عائشة (۲).

۴- وقال محمد بن نصر المروزى: كان يحدِّث بآخره من حفظه فيغيّر (۳) ألفاظ الحديث كأنه يحدِّث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان (۴).

واما سفيان:

۱- قال الذهبى كان يدلس عن الضعفاء (۵).

۲- وعن ابن المبارك، قال: حدث سفيان بحديث، فجئتُهُ وهو يدلسه، فلما رآنى إستحيى، وقال: نرويه عنك (۶).

۳- وعن أبى بكر، قال: سمعتُ يحيى يقول: جَهد الثورى أن

۱- تهذيب الكمال ۳۰: ۴۷۱.

۲- ميزان الاعتدال ۴: ۳۳۶.

۳- عن نعيم بن حماد: تعشينا عند وكيع، فقال: أى شىء أجيئكم به، نبيذ الشيوخ أو الفتيان؟ قلت: تتكلم بهذا؟ قال: هو عندى أحل من ماء الفرات. تاريخ بغداد ۱۳: ۷۲.

وعن أحمد: كان يسب السلف ويشرب المسكر، والفتوى بالباطل.

۴- تهذيب التهذيب ۱۱: ۱۲۵.

۵- ميزان الاعتدال ۲: ۱۶۹.

۶- تهذيب التهذيب ۱۱: ۲۱۸.

ص: ۱۷۰

یدلسَ علیَّ رجلًا ضعیفاً فما أمکنه (۱).

۴- وعن یحیی بن معین: لم یکن أحد أعلم بحدیث أبی إسحاق من الثوری وکان یدلس (۲).

واما حبیب بن أبی ثابت:

۱- قال ابن حبان: کان مدلساً (۳).

۲- وقال العقیلی: وله عن عطاء أحادیث لا یتابع علیها (۴).

۳- وقال العقیلی أیضاً: غَمَزَهُ ابن عون (۵).

۴- وقال القطان: له غیر حدیث عن عطا، لایتابع علیه ولیست بمحفوظة.

۵- وقال ابن خزیمة: کان مدلساً (۶).

وأما أبو وائل: فهو من مبغضی علی علیه السلام فکیف یعتمد علیه، وقد قال النبی صلی الله علیه و آله یا علی لایحبک إلّامؤمن، ولا یبغضک إلّامنافق (۷).

المناقشة فی المتن والدلالة:

أولًا: انّه شاذ، انفرد به أبو الهیّاج، وقال السیوطی فی شرح النسائی: لیس لأبی الهیّاج فی الکتب إلّاهذا الحدیث الواحد.

۱- تهذیب التهذیب ۳: ۱۷۹.

۲- الجرح والتعدیل ۴: ۲۲۵.

۳- تهذیب التهذیب ۲: ۱۷۹، تقریب التهذیب ۱: ۳۱۶.

۴- المصدر نفسه.

۵- میزان الاعتدال ۱: ۴۵۱.

۶- تهذیب التهذیب ۲: ۱۷۹، شرح نهج البلاغة ۴: ۹۹ کان عثمانیاً یقع فی علی علیه السلام.

۷- مجمع الزوائد ۹: ۱۳۳.

ص: ۱۷۱

ثانياً: لا دلالة له على المدّعى بل هو وارد فى الأمر بالتسـطيح والنهى عن التسنيم، فان الشرف، وإن كان معناه: العالى إلّاأن التسنيم نوع من العلو.

«الشرف» يعنى العلو، ومن البعير سنامه- كما فى القاموس (۱)- إذن: الشرف يشمل باطلاقه، أو بوصفه، العالى سواء كان علوه بالتسنيم وبغيره.

ولكن قوله «إلّا سوّيته» قرينة على إرادة التسنيم من الشرف والتسطيح من التسوية.

وبعبارة اخرى فى الرواية احتمالات ثلاث:

۱- أن يكون المراد هدم البناء المشيّد على القبر.

۲- أن يكون المراد تسوية القبر مع الأرض.

۳- أن يكون المراد تسطيح القبر وتعديل ما فيه من اعوجاج والحيلولة دون تسنيمه كظهر السمك وسنام البعير.

اما الاحتمال الأوّل فمردود لوجود السيرة وعمل الصحابة وغيرهم على خلافه، وسيجىء البحث عنه.

واما الاحتمال الثانى فمردود أيضاً، وذلك لقيام السنّة القطعية على ارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

فيبقى الاحتمال الثالث: وهو تسطيح القبر وتعديل ما فيه من اعوجاج والحيلولة دون تسنيمه، كظهر السمك وسنام البعير. وهذا ما

۱- القاموس ۳: ۱۶۲.

ص: ۱۷۲

يراه جمع من علماء السنّة كالنووى والقسطلانى.

قال النووى: إن السنّة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يُسّنم بل يرفع نحو شبر ويسطح (۱).

وقال القسـطلانى: بعد أن قال: السـنّة فى القبر تسـطيحه وانه لايجوز ترك هذه السـنّة لمجرّد أنها صارت شعاراً للروافض، وانه لا منافاة بين التسطيح وحديث أبى هيّاج، يقول: لأنّه لم يُرد تسويته بالأرض وانّما أراد تسطيحه جمعاً بين الأخبار (۲).

ثالثاً: سيرة الصحابة وعموم المسلمين:

۱- ان قبور الأنبياء التى حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام فى القدس وقبور إبراهيم وبنيه: إسحاق ويعقوب ويوسف الذى نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس فى بلد الخليل كلها مبنية مشيّدة، قد بنى عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الإسلام وبقى ذلك بعد فتح الإسلام (۳).

وقد صرّح بذلك ابن تيمية، فقال: ان البناء الذى على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً فى زمن الفتوح وزمن الصحابة إلّاانّه كان باب

۱- المجموع ۴: ۳۱۲.

۲- إرشاد السارى ۲: ۴۶۸.

۳- هـذا ما أشار إليه السـيّد الأمين فى كشف الارتياب ۴۸۴، وبه روايـة- إن صـحّت- فهى تـدل على ذلك. انظر درر الأخبار ۲: ۱۸۵ للشيخ الوالد، معالم الزلفى: ۱۰۸. لكن هناك احاديث مفادها: إنَّ اللّه حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء، راجع مسند أحمد ۴: ۸.

ص: ۱۷۳

ذلک البناء مسدوداً إلی سنهٔ الاربعمائهٔ.

ولا شک ان عمر لمّا فتح بیت المقدس رأی ذلک البناء، ومع ذلک لم یأمر بهدمه.

دعوی ابن بلیهد:

لقد ادعی ابن بلیهد: أنّ البناء علی القبور حدث بعد القرون الخمسهٔ.

هذا ولکن التاریخ علی خلاف دعواه تماماً، فإن هناک أبنیهٔ علی القبور، ومزارات کانت قبل القرن الخامس بل بعضها فی القرن الأول والثانی. وإلیک أمثلهٔ علی ذلک:

۱- بناء الحجرهٔ الشریفهٔ.

۲- بناء المسجد علی قبر حمزهٔ.

۳- ان قبر إبراهیم بن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان فی دار محمد بن زید بن علی علیه السلام.

۴- قبر سعد بن معاذ کان فی دار ابن أفلح، وان علیه حنبذهٔ- أی قبّهٔ- فی زمن عمر بن عبدالعزیز الذی هو من المائهٔ الثانیهٔ (۱).

۵- ان البناء علی قبر الزبیر کان عام ۳۸۶ ه.

۶- ان البناء علی قبر النذور- قبر عبیداللَّه بن محمد بن عمر بن علی علیه السلام کان فی القرن الرابع.

۱- انظر وفاء الوفاء ۲: ۵۴۵، کشف الارتیاب: ۴۲۴.

ص: ۱۷۴

تجدید بناء القبر علی عهد الصحابهٔ والتابعین:

۱- قبر النبی صلی الله علیه و آله: فانّه صلی الله علیه و آله دفن فی حجرهٔ مبنیهٔ، ولو کان البناء علی القبور محرماً، لهدمها الصحابهٔ قبل دفنه صلی الله علیه و آله، إذ لو کان البناء کالأصنام، فلا فرق بین البناء السابق والبناء اللاحق، والبناء والقبهٔ علی القبر الشریف لازال موجوداً إلی یومنا هذا.

۲- لم یکن علی بیت النبی حائط، وکان أوّل من بنی علیه جداراً، عمر بن الخطاب (۱).

۳- ان عائشهٔ بَنَتْ حائطاً بینها وبین القبور وکانت تسکنها وتصلّی فیها قبل الحائط وبعده.

«کانوا یأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشهٔ بجدار فضربت علیهم وکانت فی الجدار کوهٔ، فکانوا یأخذون منها، فأمرت بالکوهٔ فَسُدَّتْ (۲).

۴- ثم بناها عبداللّه بن الزبیر ثم سقط حائطها.

۵- بناه عمر بن عبدالعزیز، وفی روایهٔ انه هدم البیت الأوّل. ثم بناه وبنی حظاراً محیطاً به وتولّی ذلک عمر بن عبدالعزیز وآزر الحجرهٔ بالرخام.

فلما ان بنی البیت علی القبر وهدم البیت الأوّل، ظهرت القبور الثلاثهٔ (۳).

۱- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۱.

۲- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۴.

۳- وفاء الوفاء ۲: ۵۴۷.

ص: ۱۷۵

۶- ثم اعید تأزیرها فی زمن المتوکل الخلیفهٔ العباسی.

۷- جُدِّد فی زمن المقتفی، ثم عُمِلَ فی زمنه للحجرهٔ مُشبّک من خَشَب الصندل، والابنوس علی رأس جدار عمر بن عبدالعزیز.

۸- ثم لما سقط حائط الحجرهٔ فی دولهٔ المستضیئ، اعید بناؤه ثم لما احترق الحرم الشریف عام ۶۵۴ ه. ق شرعوا فی تجدید الحجرهٔ الشریفهٔ فی دولهٔ المستعصم العباسی وأکمل تعمیره من آلاتٍ وصلت من مصر فی عهد الملک المنصور أیبک الصالحی، وأخشاب من صاحب الیمن: الملک المظفر.

۹- ثم أکمل تعمیرها فی أیام الملک المنصور قلاوون الصالحی صاحب مصر فعملت أوّل قبّهٔ علی الحجرهٔ الشریفهٔ. وهی القبهٔ الزرقاء التی بناها أحمد بن عبدالقوی (۱) عام ۶۷۸ ه. ق.

ثانیاً: قبور الصحابهٔ وغیرهم:

۱- ان عقیلًا لما حفر بئراً فی داره وجد حجراً مکتوباً علیه: هذا قبر امّ حبیبهٔ (۲)، فدفن البئر وبنی علیه بیتاً.

۲- بنی الرشید قبهٔ علی قبر أمیر المؤمنین علی علیه السلام فی المائهٔ الثانیهٔ (۳).

۱- راجع کشف الارتیاب: ۴۰۰، وفاء الوفاء للسمهودی ۲: ۵۷۳.

۲- فیه تأمل إذا کان المقصود بها زوج النبی صلی الله علیه و آله إذ کیف یخفی علیه قبرها، مع ان عقیلًا کان معاصراً لُام حبیبهٔ.

۳- یقول الشاعر الحسین بن الحجاج سنهٔ ۳۹۱ ه:

یاصاحب القبّهٔ البیضا علی النجف من زار قبرک واستشفی لدیک شفی

زوروا أبا الحسن الهادی لعلّکم تحظون بالأجر والاقبال والزلفِ

زوروا لمن تُسمع النجوی لدیه فمن یزره بالقبر ملهوفاً لدیه کفی

إذا وصلت فاحرم قبل تدخله ملبیاً وأسع سعیاً حوله وطف

موسوعهٔ العتبات المقدسهٔ ۶: ۹۷، الغدیر ۴: ۹۴، درر الأخبار ۲: ۲۱۴، للمرحوم آیهٔ اللّه الطبسی.

ص: ۱۷۶

۳- یقول الخطیب البغدادی: ان الکاظم علیه السلام دفن فی مقابر الشونیز وقبره هناک مشهور یزار، علیه مشهد عظیم فیه القنادیل وأنواع الآلات والفرش (۱). وولادهٔ الخطیب عام ۳۹۲ ه وهو من القرن الرابع.

۴- ان الرضا علیه السلام دفن فی القبّهٔ التی دفن فیها هارون بطوس ویظهر أن ولده المأمون بنی تلک القبّهٔ عام ۲۰۰ ه.

۵- قبر أبی تمام الطائی: إنّ نهشل بن حمید الطوسی بنی علی قبر أبی تمام حبیب بن أوس الطائی الشاعر المعروف بالموصل عام ۲۳۰ ه.

۶- قبر بوران: بنیت قبهٔ علی قبر بوران بنت الحسن بن سهل عام ۲۷۱ ه.

۷- الذهبی: إن المتوکل عام ۲۳۶ أمر بهدم قبر الحسین (۲)، وهدم ما حوله. فتألم المسلمون من ذلک، وکتب أهل بغداد شتمه علی الحیطان والمساجد، وهجاه الشعراء. وممّا قیل فیه:

تاللّه إن کانت امیّهٔ قد أتت قتل ابن بنتِ نبیّها مظلوماً

فلقد أتاه بنو أبیه بمثله هذا لعمری قبره مهدوماً

۱- وفیات الأعیان ۵: ۳۱۰.

۲- انظر مآثر الانافهٔ فی معالم الخلافهٔ للقلقشندی ۱: ۱۲۰ حول بناء المشهد المعروف بمشهدالحسین علیه السلام بمصر.

ص: ۱۷۷

اسفوا علی أن لا یکونوا شارکوا فی قتله فتتبعوه رمیماً (۱)

اذن هـذه العصور کلها سابقـة علی القرن الخامس الـذی یدعیه ابن بلیهد، فلو کانت الأبنیة علی القبور محرّمة وتُعد شـرکاً لورد النهی، سیمـا ان تلـک العصور- خصوصاً عصـر هارون والمأمون- کان حافلًا بالعلماء وأئمـة الـدین، ولم ینقل ان أحـداً منهم أنکر ذلک، مع انّهم أنکروا علی المأمون خلق القرآن ولم یوافقوه، وصبروا علی الحبس والضرب..

وفیما یلی نماذج اخری:

۱- قبر سلمان الفارسی ت ۳۶ ه.

قال الخطیب البغدادی: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أیوان کسری علیه بناء وهناک خادم مقیم لحفظ الموضع وعمارته والنظر فی أمر مصالحه» (۲).

۲- قبر طلحة المقتول یوم الجمل سنة ۳۶ ه.

قال ابن بطوطة: مشهد طلحة بن عبید اللّه.. وهو بداخل المدینة وعلیه قبة ومسجد، وزاویة فیها الطعام للوارد والصادر..

ثمّ عدَّ مشاهداً فی البصرة لجملة من الصحابة والتابعین فقال:

وعلی کلِّ قبر قبّةٌ مکتوب فیها اسم صاحب القبر ووفاته (۳).

۳- الزبیر بن العوام: قال ابن الجوزی: بنی علیه الأثیر أبو المسک

۱- وذکرها أیضاً الذهبی فی تاریخ الإسلام ۱۷/ ۱۸ فی حوادث سنة ۲۳۶. راجع کشف الارتیاب: ۳۰۸، وفاء الوفاء للسمهودی ۲: ۸۴.

۲- تاریخ بغداد ۱: ۱۶۳.

۳- رحلة ابن بطوطة ۱: ۱۸۷.

ص: ۱۷۸

عنبر، بناءاً وجعل الموضع مسجداً ونقلت إلیه القنادیل والآلات والحصر والسمّادات واقیم قوّام وحفظة ووقف علیه وقوفاً (۱).

۴- أبو أیوب الأنصاری: ت ۵۲ بالروم:

قال الولید: حدّثنی شیخ من أهل فلسطین: أنه رأی بنیة بیضاء دون حائط القسطنطنیة، فقالوا: هذا قبر أبی أیوب الأنصاری صاحب النبی صلی الله علیه و آله، فأتیت تلک البنیة فرأیتُ قبره فی تلک البنیة وعلیه قندیل معلّق بسلسلة (۲).

وقال ابن کثیر: وعلی قبره مزار ومسجد (۳)..

۵- مشهد الإمام موسی بن جعفر علیهما السلام قال الذهبی: «له مشهد عظیم مشهور ببغداد ولولده علی بن موسی مشهد عظیم بطوس» (۴).

قال ابن الجوزی: فی هذه الأیام- یعنی سنة ۴۵۹- بنی أبو سعد المستوفی الملقب شرف الملک، مشهد أبی حنیفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبّة...» (۵).

۶- معروف الکرخی ت ۲۰۰ ه

قال ابن الجوزی:.. بُنیت تربة قبر معروف فی ربیع الأول سنة

۱- المنتظم ۱۴: ۳۸۷، أقول: إن الزبیر وطلحة نکثا بیعة الإمام علی علیه السلام وأجّجا نار الحرب وخرجا علی إمام زمانهما ولقیا مصرعهما فی تلک المعرکة او جرّاء تلک المعرکة.

۲- تاریخ بغداد ۱: ۱۵۴.

۳- البدایة والنهایة ۸: ۶۵.

۴- سیر أعلام النبلاء ۶: ۲۷۴.

۵- المنتظم ۱۶: ۱۰۰.

ص: ۱۷۹

۴۶۰ وعقد مشهداً زاجاً بالجص والآجر (۱)

۷- محمد بن إدريس الشافعى: ت ۲۰۴ ه

قال الذهبى: إن الملك الكامل عمّر قبّةً على ضريح الشافعى (۲).

۸- أبو على الهيبش ت ۴۲۰ ه

قال ابن الجوزى: قبره ظاهر بالكوفة وقد عمل عليه مشهد.. (۳).

تتميم: ردّ الاستدلال بحديث أبى الزبير

وقد استدلّوا برواية ابى الزبير التى رواها مسلم (۴) والترمذى (۵)، وابن ماجه (۶)، والنسائى (۷)، وأبو داود (۸)، وأحمد فى مسنده (۹) (نهى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أن يجصص القبر وان يعقد عليه وأن يبنى عليه».

وفيما يلى طرق الحديث:

الطريق الأول: أبو بكر بن أبى شيبة، حدّثنا حفص بن غياث، عن ابن جُريج، عن أبى الزبير، عن جابر: نهى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله... (۱۰)

۱- المنتظم ۱۶: ۱۰۵.

۲- دول الإسلام: ۳۴۴.

۳- المنتظم ۱۵: ۲۰۲.

۴- صحيح مسلم ۳: ۶۳.

۵- الترمذى ۲: ۲۰۸.

۶- سنن ابن ماجه ۱: ۴۷۳.

۷- سنن النسائى ۴: ۸۷.

۸- سنن أبى داود ۳: ۲۱۶.

۹- مسند أحمد ۳: ۲۹۵.

۱۰- صحيح مسلم ۳: ۶۳.

ص: ۱۸۰

الطريق الثانى: هارون بن عبداللّه، حدّثنا حجاج بن محمد، وحدّثنى محمد بن رافع، حدّثنا عبدالزراق جميعاً عن ابن جريج، عن أبى الزبير.. (۱) الطريق الثالث: عبد الرحمن بن الأسود، أخبرنا محمد بن ربيعة، عن ابن جريج عن أبى الزبير (۲).

الطريق الرابع: حدّثنا أزهر بن مروان ومحمد بن زياد، قال:

حدّثنا عبد الوارث عن أيوب، عن أبى الزبير... (۳).

الطريق الخامس: أخبرنا يوسف بن سعيد، حدّثنا حجاج عن ابن جريج، عن أبى الزبير (۴).

المناقشة فى السند:

وفى السند: ابن جريج، وأبو الزبير، وحفص بن غياث ومحمد بن ربيعة، وعبدالرزاق.

اما ابن جريج: وهو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموى.

الآراء حوله:

۱- سُئل يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج، فقال: ضعيف.

فقيل له: إنّه يقول: أخبرنى، قال: لا شىء.. كلّه ضعيف.

۲- قال أحمد: إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان

۱- المصدر نفسه.

۲- الترمذى ۲: ۲۰۸.

۳- سنن ابن ماجة ۱: ۴۷۳.

۴- سنن النسائى ۴: ۸۷.

ص: ١٨١

وواخبرتُ، جاء بمناكير.

٣- قال مالك بن أنس: كان ابن جُريج حاطب ليل (١).

۴- وقال الدارقطنی: تجنب تدليس ابن جريج، فانّه قبيح التدليس لا يدلس إلّافيما سمعه من مجروح.

۵- وقال ابن حبان: كان يدلس فی الحديث.

۶- وقال يحيی بن سعيد، إذا قال ابن جريج «قال»: فهو شبه الريح.

٧- وقال يزيد بن زريع: كان ابن جريج صاحب غثاء.

٨- قال الذهبی:.. يدلس وهو فی نفسه مجمع علی ثقته مع كونه قد تزوج نحواً من سبعين امرأة نكاح المتعة.

٩- قال عبداللّه بن أحمد، قال أبی: بعض الأحاديث التی كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج لا يبالی من أين يأخذها.

١٠- قال الدارقطنی: تجنب تدليس ابن جريج، فانّه قبيح التدليس، لا يدلس إلّافيما سمعه من مجروح مثل إبراهيم بن أبی يحيی (٢).

اما الراوی الثانی: أبو الزبير:

اسمه: محمد بن مسلم بن تدرس الآمدی

١- و «حاطب ليل» أی الذی يحطب أو يجمع الحطب فی الليل: مَثَلٌ يطلق علی من يخبط خبطاً ويخلط بين الخطأ والصحيح بلا بصيرة.

٢- تهذيب الكمال ١٨: ٣۴٨، تهذيب التهذيب ۶: ۴٠۴، ميزان الاعتدال ٢: ۶۵٩.

ص: ۱۸۲

وقد ضعفه علماء الرجال. وفيما يلی نماذج من آرائهم:

۱- عن أحمد: كان أيوب يضعفه..

۲- قال نعيم بن حماد، سمعت ابن عيينه: كأنه يضعفه.

۳- عن سويد بن عبدالعزيز، قال لی شعبة: تأخذ عن أبی الزبير، وهو لايحسن أن يصلّی؟!

۴- قال نعيم: سمعت هشيماً يقول: سمعت من أبی الزبير، فأخذ شعبة كتابی فمزّقه.

۵- قال عبدالرحمن بن أبی حاتم: سألت أبی عن أبی الزبير فقال:

يكتب حديثه ولايحتج به (۱).

۶- الترمذی: ذكر شعبة انّه ضعَّف أبا الزبير المكیّ (۲).

۷- قال أبو زرعة وأبو حاتم: لا يحتج به.

۸- وعن أبی عيينه: كان أبو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير إذا لم نجد عمرو بن دينار ذهبنا إليه.

۹- ابن أبی حاتم سألت أبا زرعة عن أبی الزبير فقال: يروی عنه الناس، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: انّما يحتج بحديث الثقات.

۱۰- قال شعبة: لم يكن فی الدنيا شیء أحبّ إلیَّ من رجل يقدم من مكة فأسأله عن أبی الزبير، فقدمت مكة، فسمعت منه، فبينا أنا جالس عنده إذ جاءه رجل يوماً فسأله عن مسألة، فقلت له: يا أبا الزبير تفتری علی رجل مسلم! قال: انه أغضبنی، قلت: من يغضبك

۱- تهذيب الكمال ۲۶: ۴۰۷.

۲- الجامع الصحيح ۵: ۷۵۶.

ص: ۱۸۳

یُفتری علیه؟ لا رویتُ عنک حدیثاً أبداً (۱).

وفی تهذیب التهذیب: فردّ علیه فافتری علیه- یعنی أبو الزبیر (۲).

والنتیجهٔ: ان أبا الزبیر ضعیف، ولا یحسن الصلاهٔ، ولایحتج به وانه یفتری، وان شعبهٔ مزّق کتابه، فهل یبقی مع هذا مجال للاعتماد علیه؟!!

اما الثالث: حفص بن غیاث

۱- قال یعقوب بن شیبهٔ: یُتّقی بعض حفظه (۳).

۲- وقال أبو زرعهٔ: ساء حفظه بعدما استقضی (۴).

۳- وقال داود بن رشید: حفص کثیر الغلط (۵).

۴- عن أحمد: کان حفص یخلط کثیراً (۶).

۵- وعنه: ان حفصاً کان یدلّس (۷).

اما الرابع: محمد بن ربیعهٔ: وهو أبو عبداللّه الکوفی الرواسی (۸) ۱- قال الساجی: فیه لین (۹).

۱- میزان الاعتدال ۴: ۳۷.

۲- تهذیب التهذیب ۹: ۴۴۲.

۳- تهذیب الکمال ۷: ۵۶.

۴- المصدر نفسه.

۵- تاریخ بغداد ۸: ۱۹۹.

۶- سیر أعلام النبلاء ۹: ۳۱.

۷- تهذیب التهذیب ۲: ۳۶۰.

۸- تهذیب الکمال ۲۵: ۱۹۶.

۹- تهذیب التهذیب ۹: ۱۴۳.

ص: ۱۸۴

۲- وقال الأزدی: فیه لین ونظر (۱).

۳- وقال عثمان بن أبی شیبة: جاء محمد بن ربیعة، فطلب أن نکتب عنه، فقلنا لاندخل فی حدیثنا الکذّابین (۲).

واما الطریق الخامس: عبد الوارث، وهو بن سعید بن ذکوان التمیمی:

۱- قال البخاری: قال عبدالصمد: انه لکذوب علی أبی (۳)..

۲- کماضعفه الدارقطنی، وقال بعد ذکر حدیثٍ عنه: لایصح هذا.

۳- وقال ابن معین: انّه مجهول (۴).

۴- ونقل الترمذی عن البخاری: عبد الوارث منکر الحدیث.

واما الطریق السادس: عبدالرزاق الصنعانی

فهو أیضاً ضعیف عندهم اما لأجل تشیّعه- علی مبناهم من کون التشیّع ضعفاً- واما لأجل ضعفه فی السماع کما عن ابن حنبل، واما لُامور اخری (۵).

والحاصل ان هذه الروایة ملیئة بالسُقم السندی وضعف رجالها، فکیف اعتمد علیها الوهابیون؟ وکیف بنوا علیها آراؤهم الفقهیة، ومِن ثمَّ کفّروا المسلمین واستباحوا دماءُهم؟!

۱- میزان الاعتدال ۳: ۵۴۵.

۲- میزان الاعتدال ۳: ۵۴۵.

۳- تهذیب الکمال ۱۸: ۴۸۳.

۴- لسان المیزان ۲: ۶۷۸.

۵- تهذیب الکمال ۱۸: ۵۸، میزان الاعتدال ۲: ۶۱، الجرح والتعدیل ۶: ۳۸.

ص: ۱۸۵

هذا کلّه من حیث السند

واما البحث فی دلالة الحدیث فهی:

أوّلًا: لا یدل الحدیث علی أکثر من النهی وهو علی قسمین: نهی تحریم ونهی کراهة.

وکثیراً ما ورد النهی فی الأحادیث بمعنی الکراهة (۱) وهذه الکثرة توجب انصراف هذا الحدیث- الذی فیه النهی- إلی الکراهة، ویضعف ظهورها فی الحرمة.

۱- قال الشافعی والأصحاب، یستحب أن لا یزاد القبر علی التراب الذی اخرج منه؛ لهذا الحدیث.

۲- قال السندی- نقلًا عن النیسابوری- بعد حدیث النهی أن یکتب علی القبر شیء، قال: «هذه الأسانید صحیحة ولیس العمل

۱- نهی النبی صلی الله علیه و آله عن أکل الثوم إلّامطبوخاً، نهی النبی عن الاختصار فی الصلاة، النهی عنالحجامة للصائم، النهی عن قتل النملة والنحلة، النهی عن فضل وضوء المرأة، النهی عن صوم یوم السبت، النهی عن رکوب الجلالة، النهی عن تلقی الرکبان، النهی عن التحریش بین البهائم، النهی عن البصل والکراث، النهی عن بیع فضل الماء، النهی عن أن یکون الإمام مؤذناً، النهی عن السفر بالقرآن، النهی أن تسترضع الحمقاء، النهی عن البول قائماً، النهی عن البول فی المغتسل، النهی أن یبیع المهاجر لاعرابی. وعشرات الأحادیث بهذه المضامین، مما لم یتفوّه فقیه بالقول فیها بالحرمة بل حملت علی الکراهة لیس إلّا.

وروایات النهی عن بناء القبور من هذا القبیل- لغلبة الاستعمال فی الکراهة:

أ- النهی عن تجصیص القبر.

ب- النهی عن العقد علیه.

ج- النهی عن البناء علیه.

د- النهی عن أن یکتب علی القبر شیء.

ص: ۱۸۶

عليها فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب يكتبون على قبورهم وهو شيء أخذه الخلف عن السلف» (۱).

۳- قال النووی: اما البناء، فإن كان فی ملك البانی فمكروه، وإن كان فی مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعی والأصحاب.. قال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه (۲).

ثانياً: ان هذه الأحاديث غير ناظرة إلى ما يكون تعمير القبر وتشييده والبناء فوقه، من تعظيم شعائر اللَّه وحرماته، لكون صاحبه نبيّاً أو وليّاً، أو لكونها بنيت لمصالح فی الدين مهمة؛ مثل أن تكون علامة ومناراً للقبر الذی ندب الشرع إلى زيارته وحفظاً له عن الاندراس. كما علّم رسول اللَّه صلی الله عليه و آله قبر عثمان بن مظعون، وعلمت فاطمة الزهراء عليها السلام قبر حمزة.

وفيما يلی الشواهد:

۱- ابن ماجه: «وقد علَّم رسول اللَّه صلی الله عليه و آله قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه» (۳). وعقب الهيثمی عليه: وقال اسناد حسن (۴).

قال السندی فی توضيح الحديث: أی وضع عليه الصخرة ليتبيّن بها.

۲- وعن بعض الصحابة: لما مات عثمان بن مظعون اخرج بجنازته فدفن، فأمرَ النبی صلی الله عليه و آله رجلًا أن يأتی بحجرٍ فلم يستطع حمله،

۱- سنن النسائی ۴: ۸۷.

۲- شرح صحيح مسلم ۳: ۶۲.

۳- سنن ابن ماجه ۱: ۴۹۸.

۴- المصدر نفسه.

ص: ۱۸۷

فقام إليه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وحسَر عن ذراعيه.

قال الراوی: كأنی أنظر إلی بياض ذراعی رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حين حسر عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه، وقال: أتعلَّم به قبر أخی وأدفن إليه من مات من أهلی.

.. فلما ولّی مروان بن الحكم المدينة مرَّ علی ذلك الحجر، فأمَرَ به فُرمی به، وقال: واللَّه لا يكون علی قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية، فقالوا: بئس ما صنعت فمُر به فليرد. فقال: اما واللَّه إذ رميت به فلا يُرد (۱).

۳- الأصبغ بن نباتة: ان فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كانت تأتی قبر حمزة، وكانت قد وضعت عليه علماً تعرفه (۲) وذكر ان قبر النبی صلى الله عليه و آله وأبی بكر وعمر كان عليهم النَقَل يعنی حجاراً صغاراً» (۳).

ثم ان الفوائد المترتّبة علی البناء ما يلی:

۱- تعظيم الشعائر وإرغام الأعداء والمنكرين.

۲- استظلال الزائرين بها من الحرّ والقرّ عند الزيارة والصلاة بجانبها التی ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها.

۳- قراءة القرآن.

۴- التدريس.

۵- إلقاء المواعظ وغير ذلك..

۱- وفاء الوفاء ۳: ۸۹۴.

۲- مصنف عبدالرزاق ۳: ۵۷۴.

۳- المصدر نفسه.

ص: ۱۸۸

ص: ۱۸۹

الفصل الثامن: الاسراج على القبور

اشارة

الاسراج

على القبور

۱- رأی الوهابیة

۲- مناقشة الفکرة

۳- سیرة المسلمین

۴- مناقشة حدیث المنع من الاسراج

ص: ۱۹۰

ص: ۱۹۱

وقد منعه الوهابيون، محتجين بالحديث المتقدّم «لعن رسول اللَّه زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج» (۱).

والجواب:

أوّلًا: هذا الحديث ضعيف السند- كما مرّ-.

ثانياً: محمول على غير قبور الأنبياء والأولياء الذين دلّ الشرع على رجحان تعظيمهم، أحياءاً وأمواتاً.

ثالثاً: محمول على صورة عدم المنفعة، فيكون تضييعاً للمال، واما الإسراج لقراءة القرآن والأدعية، والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها، فليس مكروهاً ولا محرماً، وذلك للنفع الظاهر في ذلك، فيكون من التعاون على البِّر والتقوى، كما أشار إلى ذلك العزيزي والسندي والشيخ الحنفي والشيخ على منصور. وسيأتى تفصيل أقوالهم.

۱- سنن النسائى ۴: ۹۵، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۴.

ص: ۱۹۲

والشاهد على ذلك:

فعل النبی صلی الله علیه و آله: فقد روی الترمذی عن ابن عباس: ان النبی صلی الله علیه و آله دخل قبراً ليلًا فاسرج له سراج (۱).

رابعاً: سيرة المسلمين

كما ان سيرة المسلمين- من قبل أن يولد ابن تيمية وبعده- كانت جارية على الاسراج والاضاءة على القبور والمشاهد:

۱- قنديل على قبر أبی أيوب الأنصاری:

قال الخطيب البغدادی: قال الوليد: حدّثنی شيخ من أهل فلسطين: انّه رأی بنيّة بيضاء دون حائط القسطنطينية فقالوا: هذا قبر أبی أيوب الأنصاری صاحب النبی صلی الله علیه و آله فأتيت تلك البنية، فرأيت قبره فی تلك البنية وعليه قنديل (۲) معلّق بسلسلة» (۳).

والملاحظ أن وفاة الخطيب ۴۶۳ ه أی فی القرن الخامس ووفاة ابن تيمية فی القرن التاسع، والفرق الزمنی بينهما حوالی أربعمائة سنة فهذه العادة كانت جارية قبل أن يولد ابن تيمية ولم يُعهد من فقيه إسلامی أفتى بحرمة هذا المعنى، ولا عدّه من البدع والشرك.

۲- قناديل تنقل لقبر الزبير:

قال ابن الجوزی: «فمن الحوادث فی سنة ۳۸۶ ه أن أهل البصرة

۱- الجامع الصحيح ۳: ۳۷۲ ب ۶۲.

۲- وهو معروف يستضاء به، وفی الحديث: الرجل يصلّی وبين يديه قنديل» مجمع البحرين ۵: ۴۵۶ مادة قندل.

۳- تاريخ بغداد ۱: ۱۵۴.

ص: ۱۹۳

ادّعوا انهم كشـفوا عن قبر عتيق... وانه الزبير بن العوّام.. ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات واقيم فيه قوّامٌ وحفظة ووقف عليه وقوفاً» (۱).

الملاحظ: ان هـذا الاكتشاف ومن ثم عملية نقل القناديل ونصـبها على القبر، كان فى القرن الرابع، قبل أن يولد ابن تيمية بخمسة قرون ولم يعهد أيضاً من فقيه أفتى بحرمة نقل القناديل واستضاءة قبر الزبير أو قبر غيره.

۳- قناديل على قبر الكاظم عليه السلام:

قال الخطيب:.. وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدّ.. (۲).

مناقشة الحديث

اما من حيث السند: فقد رواه الحاكم فى مستدركه بسندين ينتهيان إلى ابن عباس، ولكن فيهما: أبو صالح وهو باذان وليس: «السمان» المحتج به (۳) وأبو صالح هذا مردود.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا تحتج به.

وقال النسائى: ليس بثقة.

وقال ابن عدى: عامّة ما يرويه، تفسير، وما أقلَّ ما له فى

۱- المنتظم ۱۴: ۳۸۳.

۲- وفيات الأعيان ۵: ۳۱۰.

۳- تهذيب الكمال ۴: ۶.

ص: ۱۹۴

المسند... ولم أعلم أحداً من المتقدّمين رضيه» (۱).

و فی الحدیث طریقان آخران تعرضنا لها فی بحث زیارة النساء للقبور.

اما دلالة الحدیث:

۱- قال العزیزی فی شرح قوله صلی الله علیه و آله: والسُرُج» محل ذلک حیث لا ینتفع بها الأحیاء.. فإن کان هناک من ینتفع به صح ذلک» (۲).

۲- وقال السندی فی حاشیة سنن النسائی: «والنهی عنه لأنه تضییع مال بلا نفع. ومفاده: انه لا نهی حیث یکون هناک نفع (۳).

۳- الشیخ الحنفی فی الحاشیة: «یحرم إسراج القندیل علی قبر الولی ونحوه، حیث لم یکن ثمَّ من ینتفع به، لما فیه من إضاعة المال، لا لغرض شرعی» (۴).

۴- وقال الشیخ علی ناصف: «فلا یجوز السُرج علی القبور لأنها إضاعة مال، إلّاإذا کان هناک أحدٌ من الأحیاء فیجوز له الإسراج» (۵).

اذن: الحکم ارشادی لا مولوی، فهو إرشاد إلی عدم تضییع المال، فلو کان للإضاءة والسراج نفع عقلائی، فلا یشمله هذا الحدیث.

أضف إلی عدم إفادة اللعن الحرمة بل قد یکون محمولًا علی الفعل المکروه.

۱- الکامل فی الضعفاء ۲: ۷۱ وفیه باذام، مستدرک الحاکم ۱: ۵۳۰ الرقم ۱۳۸۴.

۲- شرح الجامع الصغیر ۳: ۱۹۸.

۳- سنن النسائی ۴: ۹۵.

۴- انظر کشف الارتیاب: ۳۳۹.

۵- التاج الجامع للُاصول ۱: ۳۸۱.

ص: ۱۹۵

الفصل التاسع: النذر

اشارة

النذر

ص: ۱۹۶

ص: ۱۹۷

ترى الوهابية حرمة النذر لغير اللّه وان ذلک يشبه النذر للأوثان وانه ينشأ من الغلو فى المنذور له.

۱- قال القصيمى: «إنها من شعائر الشيعة الناشئة عن غلوّهم فى أئمتهم وتأليههم لعلى وولده» (۱).

۲- وقال ابن تيمية: «قال علمائنا لايجوز أن يُنذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء، لا من درهم ولا من زيت، ولا من شمع، ولا من حيوان ولا غير ذلک، كلّه نذر معصية، وقد ثبت فى الصحيح: من نذر أن يطيع اللّه فليطعه، ومن نذر أن يعصى اللّه فلا يعصه» (۲).

وقال: «وإذا كان الطلب من الموتى- ولو كانوا أنبياء- ممنوعاً خشية الشرک، فالنذر للقبور، أو لسكّان القبور نذر حرام باطل يشبه

۱- الغدير ۵: ۱۸۰- كتاب الصراع ۱: ۵۴.

۲- كشف الارتياب: ۳۵۵.

ص: ۱۹۸

النذر للأوثان ومن اعتقد أنَّ فی النذر للقبور نفعاً أو أجراً فهو ضال جاهل» (۱).

مناقشهٔ الفکرهٔ

والجواب: أوّلًا: المقصود بالنـذر نـذر الصدقـهٔ وإهـداء ثوابها إلی النبی أو الولی أو الصالـح، ولا يقصد التقرّب إليه بالنذر بل إلی اللَّه، کيف يقصد التقرّب إليه وهو يعلم انّه ميّت لايمکنه الانتفاع بالمنذور، لا يأکله إن کان طعاماً ولا ينفقه إن کان مالًا، ولا يلبسه إن کان ثياباً.

فالواجب عدم التسـرّع فی التکفير والتهجّم علی المسلمين بفتاوی غير مدروسهٔ بل يجب حمل فعل المسلم علی الصحّهٔ، وينبغی الحذر من التهجّم مهما أمکن.

ثانياً: انَّ هـذا النذر لا يزيد علی من نذر لأبيه وامّه أو حلف أو عاهد أن يتصدَّق عنهما وقد ورد لزوم الوفاء به. کما روی عنه صـلی الله عليه و آله انه قال للبنت التی نذرت لأبيها عملًا «فِی بنذرک».

اما اختيار بعض الأمکنـهٔ: فهو طلب لشـرف المکان حتی يتضاعف ثواب العبادهٔ، کما يختار بعض الأزمنـهٔ لبعض العبادات وهذا ممّا لا بأس به. ويدل عليه بعض الروايات:

الروايات والنذر

۱- روی عن ثابت بن الضحاک، عن النبی صلی الله عليه و آله: أنّ رجلًا سأله

۱- الملل والنحل: ۲۹۱.

ص: ۱۹۹

أنّه نذر أن يذبح ببوانه (۱)، فأتى رسول اللّه، فأخبره فقال صلى الله عليه و آله: هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أوفِ بنذرك، فانه لا وفاء لنذر في معصية اللّه، ولا فيما لا يملك ابن آدم (۲).

۲- عن ميمونة: أن أباها قال للنبي صلى الله عليه و آله: اني نذرتُ أن أذبح خمسين شاة على بوانه، فقال: هناك شيء من هذه النُصُب؟ فقال: لا.

قال صلى الله عليه و آله: فأوفِ بنذرك، فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة، فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهمّ اوفِ بنذري حتى أمسكها فذبحها (۳).

وهذه الرواية لعلّها متحدة مع ما قبلها وإن اختلفت في بعض العبارات.

ولعلّ سؤاله صلى الله عليه و آله: هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعياد الجاهلية، خشية أن يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم.

ثالثاً: معنى النذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه بأداء شيء معيّن إذا تحقق هدفه وقضيت حاجته، فيقول: للّهعليّ أن أفعل كذا إذا كان كذا. وهذا هو النذر الشرعي. ففي قوله: نذرت لفلان مجازاً لِغاية الاختصار، إذ معناه: نذرت للّهعلى أن أفعل شيئاً يكون ثوابه لفلان.

۱- هضبة قريبة من ساحل البحر. معجم البلدان ۲: ۳۰.

۲- سنن أبي داود ۳: ۲۳۸ ح ۳۳۱۳.

۳- معجم البلدان ۲: ۳۰- و ۱: ۵۰۵.

ص: ۲۰۰

هل المشابهة توجب التكفير؟

ومن أعجب العجائب: تكفير ابن تيمية للمسلمين فی هذه النذور بحجّة أن عملهم فی النذر يشبه عمل المشركين.

فلو كان هذا هو الملاک، فهناک أعمال اخرى تشبه عمل المشركين؛ وذلک مثل كثير من مناسک الحج وفرائضه، تشبه فی ظاهرها أعمال المشركين: كالطواف حول البيت، والتقبيل، وذبح الذبائح و...

اضف الى ذلک: إن الملاک والمقياس هو النية القلبية لا التشابه.

قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: انّما الأعمال بالنيّات.

قال العزامی الشافعی: «من استخبر حال من يفعل ذلک من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات إلّاالصدقة عنهم وجعل ثوابها لهم.

وقد علموا ان اجماع أهل السنّة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث فی ذلک صحيحة مشهورة:-

۱- منها ما صحَّ عن سعد، انه سأل النبی صلى الله عليه و آله، قال: يا نبی اللَّه ان امّی افتلتت (أی ماتت) وأعَلْمُ أنها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدَّقتُ عنها أينفعها ذلک؟ قال: نعم.

فسأل النبیِّ: أیُّ الصدقة أنفع يارسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟

قال: الماء، فحفر بئراً وقال: هذه لُامّ سعد» (۱).

۱- فرقان القرآن: ۱۳۳.

ص: ۲۰۱

وقد أخطأ ابن تیمیة ومن حذا حذوه، فأدعی أن المسلم إذا قال:

هذه الصدقة للنبی صلی الله علیه و آله أو الولی، فاللام بنفسها هی اللام الموجودة فی قولنا: «نذرتُ للَّه» ویراد منها الغایة. وقد غفل ابن تیمیة أو تغافل عن أن العمل للَّه، ویقصد «باللام» جهة المصرف للصدقة.

قال العزّامی: «اللام فی هذه لام سعد هی اللام الداخلة علی الجهة التی وجّهتْ إلیه الصدقة لا علی المعبود، المتقرّب إلیه، وهی کذلک فی کلام المسلمین، فهم سعدیون لا وثنیون، وهی کاللام فی قوله تعالی:

انّما الصدقات للفقراء (۱)» (۲).

سیرة المسلمین فی النذور

إنّ النذر بالذبح وغیره، للأنبیاء والأولیاء أمرٌ شائع بین المسلمین، ومعروف من سیرتهم، من دون اختصاص بفرقةٍ دون فرقة.

وانما یثاب به الناذر إن کان للَّهوذبح باسم اللَّه.

یقول الخالدی: «بمعنی أن الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه اللَّه کقول الناس: ذبحت لمیتیّ بمعنی تصدقتُ عنه وکقول القائل: ذبحت للضیف بمعنی انه کان السبب فی حصول الذبح» (۳).

ویکفینا من الشواهد لسیرة المسلمین ثلاثة:

۱- قبر البستی بمراکش.

۱- التوبة: ۶۰.

۲- فرقان القرآن: ۱۳۳.

۳- صلح الاخوان: ۱۰۹، الغدیر ۵: ۱۸۲.

ص: ۲۰۲

۲- قبر النذور ببغداد «قبر عبید اللّه بن محمد بن عمر».

۳- قبر أحمد البدوی بطندتا.

۱- قبر البستی:

۱- أحمـد بن جعفر الخزرجی أبو العبّاس البستی نزیـل مراکش، المتوفی بها عام ۶۰۱ ه. «قبره مزار مزاحم علیه مجرّب الإجابـة، زرته مراراً لاتحصی، وجربتُ برکته مرّة، وقال ابن الخطیب السلمانی:..

ویبلغ وارد ذلـک المزار فی الیوم الواحـد ثمانمائـة مثقـال ذهب عین، وربّمـا وصـل بعض الأیـام ألف دینـار، وتُصـرف کلّها فی ذوی الحاجات المحتفین به من أهالی تلک الدیار...» (۱).

قال صاحب نیل الابتهاج:... وإلی الآن ما زال الحال علی ما کان علیه فی روضـته من ازدحام الخلق علیها، وقضاء حوائجهم، وقـد زرته ما یزید علی خمسمائة مرّة وبت هناک ما ینیف علی ثلاثین لیلة، وشاهدت برکته فی الامور..» (۲).

۲- الشیخ أحمد بن علی البدوی المتوفی ۶۷۵ ه.. دفن بطندتا (۳)، وجعلوا علی قبره مقاماً واشتهرت کراماته، وکثرت النذور إلیه (۴).

۱- نیل الابتهاج ۲: ۶۲، الغدیر ۵: ۲۰۴.

۲- المصدر السابق.

۳- لعل الصـحیح هو طنبذة قریة من أعمال البهنسا من صـعید مصـر، أو من نواحی أفریقیا. معجم البلدان ۴: ۴۳، أو طنطا، بلدة معروفة بمصر.

۴- المواهب اللدنیة ۵: ۳۴۶.. شذرات الذهب ۷: ۶۰۵.

ص: ۲۰۳

۳- قبر عبید اللّه بن محمد بن عمر:

هو ابن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب. قال البغدادی:

«باب البردان فیها جماعة من أهل الفضل وعند المصلّی المرسوم بصلاة العید قبر کان یُعرف بقبر النذور ویقال: ان المدفون فیه رجلٌ من ولد علی بن أبی طالب رضی الله عنه یتبرّک الناس بزیارته، ویقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدّثنی القاضی أبو القاسم التنوخی: قال: حدّثنی أبی، قال: کنت جالساً بحضرة عضد الدولة (۱) ونحن مخیمون بالقرب من مصلّی الأعیاد فی الجانب الشرقی من مدینة السلام نرید الخروج معه إلی همذان فی أوّل یوم نزل المعسکر، فوقع طرفه علی البناء الذی علی قبر النذور.

فقال لی: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل: قبره، لعلمی بطیرته من دون هذا واستحسن اللفظة، قال: قد علمتُ أنه قبر النذور وإنّما أردتُ شرح أمره. فقلت: هذا یقال إنّه قبر عبیداللّه بن محمد بن عمر بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، ویقال: إنّه قبر عبیداللّه بن محمد بن عمر بن علی بن أبی طالب وان بعض الخلفاء أراد قتله خفیةً فجعلت له هناک زبیة وسیِّر علیها، وهو لا یعلم فوقع فیها وهیل علیه التراب حیّاً، وانّما شهر بقبر النذور لأنّه ما یکاد یُنذر له نذرٌ إلّاصحَّ وبلَغ الناذر ما یرید. ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحدُ مَن

۱- صاحب العراق ابن السلطان حسن بن بویه الدیلمی: انظر سیر أعلام النبلاء ۱۶: ۲۴۹، ماتعام ۳۷۲ ه. ودفن بالنجف الأشرف.

ص: ۲۰۴

نـذر له مراراً لا احصـیها کثرة نـذوراً علی امور متعـذرة فبلغتها ولزمنی النذر فوفیت به. فلم یتقبل- عضد الدولة- هذا القول وتکلّم بما دل علی ان هـذا انمـا یقع منه الیسـیر اتفاقاً فیتسوق العوام بأضـعافه ویُسـیِّرون الأحادیث فیه. فأمسـکتُ فلما کان بعـد أیام یسـیرة ونحن معسـکرون فی موضـعنا اسـتدعانی فی غدوة یوم وقال: ارکب معی إلی مشهد النذور. فرکبت ورکب فی نفر من حاشیته إلی أن جئت به إلی الموضع فدخله وزار القبر وصـلّی عنده رکعتین سـجد بعدهما سـجدة، أطال فیها المناجاة بما لم یسمعه أحد، ثم رکبنا معه إلی خیمـة وأقمنا أیّاماً ثمَّ رحل ورحلنا معه یریـد همذان فبلغناها، وأقمنا فیها معه شـهوراً فلما کان بعد ذلک، اسـتدعانی، وقال لی: ألسـتَ تـذکر ما حـدّثتنی به فی أمر مشـهد النـذور ببغـداد؟ فقلت: بلی. فقال: انی خاطبتک فی معناه بدون ما کان فی نفسـی اعتماداً لاحسان عشرتک.

والذی کان فی نفسی فی الحقیقة أنَّ جمیع ما یقال فیه کذب.

فلما کان بعـد ذلک بمُدَیدَةٍ، طرقنی أمرٌ خشـیتُ أن یقع ویتمّ وأعملتُ فکری فی الاحتیال لزواله ولو بجمیع ما فی بیوت أموالی وسائر عساکری، فلم أجـد لـذلک فیه مـذهباً، فذکرت ما أخبرتنی به فی النذور لمقبرة النذور، فقلت: لِمَ لا اجرّب ذلک؟ فنذرت: إن کفانی اللّه تعـالی ذلـک الأـمر أن أحمل لصـندوق هـذا المشـهد عشـرة آلاف درهم صـحاحاً، فلما کان الیوم جاءتنی الأخبار بکفایتی ذلک الأـمر، فتقـدّمت إلی أبی القـاسم- کـاتبه- أن یکتـب إلی أبی الریـان، وکـان خلیفتـه ببغـداد- یحملهـا إلی المشـهد، ثـم التفـت إلی عبدالعزیز- وکان حاضراً-

ص: ۲۰۵

فقال له عبدالعزیز: قد کتبتُ بذلک ونفذ الکتاب (۱).

آراء العلماء فی النذر:

۱- قال الخالدی: بعد ذکر حدیثی أبی داود: «وأما استدلال الخوارج بهذا الحدیث علی عدم جواز النذر فی أماکن الأنبیاء والصالحین زاعمین أنَّ الأنبیاء والصالحین أوثان- والعیاذ باللَّه- وأعیادٌ من أعیاد الجاهلیة، فهو من ضلالهم وخرافاتهم وتجاسرهم علی أنبیاء اللَّه وأولیائه حتی سمّوهم أوثاناً.

وهذا غایة التحقیر لهم خصوصاً الأنبیاء فإنَّ من انتقصهم ولو بالکنایة یکفِّر ولا- تُقبل توبته فی بعض الأقوال. وهؤلاء المخذولون بجهلهم، یسمّون التوسّل بهم عبادة، ویسمّونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم، واللَّه أعلم» (۲).

کما لا عبرة بجهالة ابن تیمیة ومن لف لفّه وضلالاتهم (۳).

۳- وقال الرافعی- نقلًا عن صاحب التهذیب وغیره- أنه لو نذر أن یتصدّق بکذا علی أهل بلدٍ عیّنه، یجب أن یتصدّق به علیهم.

قال: ومن هذا القبیل ما ینذر بعثه إلی القبر المعروف بجرجان، فإنَّ ما یجتمع منه علی ما یحکی، یُقسَّم علی جماعة معلومین، وهذا محمولٌ علی أنّ العرف اقتضی ذلک فنزل النذر علیه.

۱- تاریخ بغداد ۱: ۱۲۳.

۲- صلح الاخوان: ۱۰۹.

۳- الغدیر ۵: ۱۸۳.

ص: ۲۰۶

ولاشکّ انّه إذا کان عُرفٌ حُمِلَ علیه، وإن لم یکن عرف فیظهر أن یجری فیه خلاف وجهین:

أحدهما لا یصح النذر لأنه لم یشهد له الشرع، بخلاف الکعبة والحجرة الشریفة.

والثانی: یصحُّ إذا کان مشهوراً بالخیر، وعلی هذا ینبغی أن یُصرف فی مصالحه الخاصّة، ولا یتعداها.

واستقرب السُبکی بطلان النذر فی صورة عدم العرف هناک للصرف (۱).

۲- وقال الخالدی أیضاً: «إنَّ المسألة تدور مدار نیّات الناذرین وإنّما الأعمال بالنیّات، فإن کان قصد الناذر، المیّت نفسه والتقرّب إلیه بذلک، لم یجز قولًا واحداً، وإن کان قصده وجه اللَّه تعالی، وانتفاع الأحیاء بوجه من الوجوه، وثوابه لذلک المنذور له المیت، سواء عیّن وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فیه. ویکون هناک ما یطَّرد الصرف فیه فی عرف الناس من مصالح القبر أو أهل بلده أو مجاوریه أو الفقراء عامة أو أقرباء المیت أو نحو ذلک، ففی هذه الصورة یجب الوفاء بالنذور.

وحکی القول بذلک عن الأذرعی، والزرکشی، وابن حجر الهیثمی المکی، والرّملی الشافعی، والقبانی البصری، والرافعی، والنووی، وعلاء الدین الحنفی، وخیر الدین الرملی الحنفی، والشیخ

۱- انظر فتاوی السُبکی ۱: ۲۹۴، الغدیر ۵: ۱۸۱.

ص: ۲۰۷

محمد الغزی، والشیخ قاسم الحنفی» (۱).

۴- وقال العزامی: «.. واغترّ بکلامه- أی ابن تیمیة- بعض من تأخّر عنه من العلماء، ممّن ابتلی بصحبته أو صحبة تلامیذه، وهو منه تلبیسٌ فی الدین وصرف إلی معنی لا یریده مسلم من المسلمین. ومن خبر حال من فعل ذلک من المسلمین، وجدهم لایقصدون بذبائحهم ونذورهم للمیتین من الأنبیاء والأولیاء إلّاالصدقة عنهم وجعل ثوابها إلیهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنّة منعقد علی أنَّ صدقة الأحیاء نافعة للأموات واصلة إلیهم، والأحادیث فی ذلک صحیحة مشهورة..

فالنذر بالذبح وغیره للأنبیاء والأولیاء أمرٌ مشروع سائغ من سیرة المسلمین عامّةً من دون أی اختصاص بفرقة دون اخری...» (۲).

وبعد هذه الأدلة والشواهد وکلمات أعلام السنة، فهل یحق لابن تیمیة وأتباعه الاصرار علی مزاعمهم والتفوّه بحرمة النذر لغیر اللَّه.

۱- صلح الاخوان: ۱۰۲، انظر الغدیر ۵: ۱۸۱.

۲- فرقان القرآن: ۱۳۳، انظر الغدیر ۵: ۱۸۱.

ص: ۲۰۸

ص: ۲۰۹

الفصل العاشر: الحلف بغير اللَّه

اشارة

الحلف بغير اللَّه

۱- دعوى الوهابية

۲- مناقشة الدعوى

۳- صدور الحلف من النبى صلى الله عليه و آله

۴- محاولات ابن عبد البر

۵- تقرير النبى والصحابة وغيرهم

۶- مناقشة رواية ابن عمر

ص: ۲۱۰

ص: ۲۱۱

لقد منعت الوهابية الحلف بغير اللّه، وبعضهم جعله شركاً على الإطلاق، وبعضهم جعله من الشرك الأصغر.

قال ابن تيمية: الشرك شركان: أكبر، وله أنواع ومنه.. طلب الشفاعة من المخلوق، والتوسل وغيره.

وأصغر: كالرياء والسمعة، ومنه الحلف بغير اللّه، لما روى عن ابن عمر: عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله من حلف بغير اللّه فقد أشرك و.. والشرك الأصغر لا يُخرج عن الملة وتجب التوبة منه (۱).

وقال الصنعانى فى «تطهير الاعتقاد» بعدما ذكر أن القبوريين سلكوا مسلك المشركين حذو القذة بالقذة، وعَدَّ أعمالهم الموجبة لذلك، قال: ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم اللّه تعالى لم يقبل منه، فإذا حلف باسم ولىٍّ من أوليائهم قبلوه وصدقوه، وهكذا

۱- رسائل الهدية: ۲۵.

ص: ۲۱۲

كانت عبادة الأصنام (۱).

مناقشة الفكرة

أوّلًا: وقع الحلف بغير اللَّه، من اللَّه، ومن النبى، ومن الصحابة والتابعين ومن جميع المسلمين خلفاً عن سلف.

أمّا من اللَّه تعالى: والعصر، والعاديات، والنازعات، والناشطات، والمرسلات، والذاريات، فالجاريات. والتين، والضحى، والسماء ذات البروج، والنجم إذا هوى، والفجر وليالٍ عشر، ن والقلم، لا ـ أقسم بيوم القيامة، فلا ـ أقسم بالخنّس الجوار الكنس، لعمرك انهم لفى سكرتهم..

إن قلت: إن جوازه من اللَّه لا يستلزم جوازه من الناس.

قلت: إن صدوره من اللَّه يدل على انّه لا قبح فيه. وإذا كان اللَّه قد جعل لنفسه شريكاً، وأشرك بالشرك الأصغر- تعالى عن ذلك- فما على من اقتدى به فى ذلك بأس!!

لأن ما يقبح من العبد لكونه شركاً أصغر وتشبيهاً للخلق فى العظمة باللَّه تعالى لايمكن أن يحسن منه تعالى، إذ صدوره منه- تعالى- لايخرجه عن تلك الصفة- إن كانت- وهى الشرك الأصغر!!

ثانياً: صدور الحلف- بغير اللَّه- من النبىّ صلى الله عليه و آله

۱- جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللَّه صلى الله عليه و آله أى الصدقة

۱- انظر كشف الارتياب: ۳۳۵.

ص: ۲۱۳

أعظم أجراً؟ فقال: اما وأبيك لتنبّئنّه، أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء (۱).

۲- جاء رجل إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله من أهل نجد يسأل عن الإسلام فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحد، يقول: هل عليَّ غيرها؟ وهو يقول: لا، إلّاأن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: أفلحَ وأبيه إن صدق، أو دخل الجنّة وأبيه إن صدق (۲).

محاولات ابن عبد البر

حكى القسطلاني عن ابن عبد البر: أن هذه اللفظة- منكرة، غير محفوظة، تردّها الآثار الصحاح (۳).

۱- صحيح مسلم ۴: ۴۱۹.

۲- صحيح مسلم ۴: ۲۲۴ كتاب الايمان ونماذج اخرى كثيرة منها:

أ- وأبيك لو طعنت فيفخذها لأجزأتك. السنن‌الكبرى ۹: ۲۴۶، تاريخ بغداد ۱۲: ۳۷۷.

ب- لعمري ما نفعناك لتنزل عنه. مجمع الزوائد ۹: ۱۲.

ج- لعمري إن قلتم في امارته لقد قلتم في إمارة أبيه. الطبقات الكبرى ۴: ۴۸.

د- لعمري لأن تكلّم بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت. مسند أحمد ۵: ۲۲۵.

ه- لعمري اني لاولكم قوماً. مسانيد ۲: ۶۱۹.

۳- إرشاد الساري ۹: ۳۵۷.

ص: ۲۱۴

أقول: بل يعضدها حديث: اما وأبيك لتنبأنه.

قال: وقيل انها مصحّفة من قول واللَّه.

قال القسطلانى: وهو محتمل ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال، سيما وقد ثبت فى لفظ أبى بكر فى قصة السارق الذى سرق حلى ابنته.

فقال: وأبيك ما ليلك بليل سارق (۱).

ثم أضاف القسطلانى: وأحسن الأجوبة ما عن البيهقى وارتضاه النووى وغيره: إن هذا اللفظ كان يجرى على ألسنتهم من غير أن يقصدوا به القسم، أو أنّ التقدير: أفلح ورب أبيه (۲).

أجاب السيّد محسن الأمين رحمه الله: ان العرب تقصد به القَسَم، وإلا كان اتيانه عبثاً وهذراً والحذف لا دليل عليه (۳).

تقرير النبى صلى الله عليه و آله

قال أبو طالب عمّ النبى صلى الله عليه و آله ضمن أبيات له:

كذبتم وبيت اللَّه يُبزى محمدٌ ولما نطاعن دونه ونناضل (۴)

فسمع ذلك رسول اللَّه (ص) ينكره

۱- ارشاد السارى ۹: ۳۵۷.

۲- كشف الارتياب: ۲۷۱.

۳- المصدر نفسه.

۴- ايمان أبى طالب ۳۳۹/ فخار بن معد الموسوى، منية الراغب فى ايمان ابى طالب: ۱۲۲ للشيخ محمد رضا الطبسى رحمه الله، شرح النهج ۱۴: ۷۹.

ص: ۲۱۵

تقریر الصحابة وفعلهم:

۱- قال عبداللَّه بن جعفر: کنت إذا سألتُ عمّی علیّاً علیه السلام شیئاً ویمنعنی، أقول له: بحق جعفر فیعطینی (۱).

فلم ینکره علیه، ولم یردعه، بل یلبّی دعوته، بعد هذا القسم.

۲- قول أبی بکر للسارق: وأبیک مالیلک بلیل سارق (۲).

۳- کتاب علی لمعاویة: ولعمری یا معاویة لئن نظرت بعقلک دون هواک لتجدنی أبرأ الناس من دم عثمان (۳).

۴- وفی کتاب آخر: فلعمری لئن لم تنزع عن غیک وشقاقک لتعرفنهم عن قلیل یطلبونک (۴).

۵- وفی کتاب معاویة لعلی علیه السلام فإن کنتَ ابا حسن انما تحارب عن الامارة والخلافة، فلعمری لو صحت لکنتَ قریباً من ان تُعذر فی حرب المسلمین (۵).

۶- الحسین بن علی علیه السلام:

لعمرک اننی لأُحب داراً تَحُلَّ بها سکینة والرباب (۶)

۱- شرح ابن أبی الحدید ۱۵: ۷۳.

۲- یراجع کشف الارتیاب ص ۲۷۱ قال العلّامة الأمینی أخرجه فی الموطأ وغیره ولم نعثر علیه لافی الحدود ولا فی الایمان والنذور.

۳- نهج البلاغة، للشیخ عبده: ۵۲۶ رقم الکتاب ۶.

۴- نهج البلاغة کتاب ۹.

۵- کشف الارتیاب: ۳۳۹.

۶- تذکرة الخواص: ۲۳۳، الفصول المهمة: ۱۸۳، البدایة والنهایة ۸: ۲۰۹، الأغانی ۱۶: ۱۳۹، المعارف لابن قتیبة: ۲۱۳، اعلام النساء المؤمنات: ۴۳۱.

ص: ۲۱۶

۷- وقال على الأكبر يوم كربلاء:

انا على بن الحسين بن على نحن- وبيت اللَّه- اولى بالنبى (۱)

۸- عبداللَّه بن عمر العنسى: وكان هذا من عبّاد أهل زمانه، لمّا سمع رواية عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه و آله أن عماراً تقتله الفئة الباغية، خرج ليلًا فأصبح فى عسكر على عليه السلام وحدّث الناس بقول عمرو وأنشد:

والراقصات بركب عامدين له ان الذى جاء من عمرو لمأثور

ما فى مقال رسول اللَّه فى رجل شكّ ولا فى مقال الرسل تحيير (۲)

مسروق يحلف بقبر النبى صلى الله عليه و آله:

۱۰- عائشة: قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر، ما الذى سمعت من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى حق الخوارج؟ قالت: سمعته يقول: انّهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خيرُ الخلق والخليقة وأقربهم عند اللَّه وسيلة (۳).

۱- تاريخ الطبرى ۳: ۳۳۰.

۲- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ۳۴۴.

۳- كشف الارتياب: ۳۴۰، انظر البداية والنهاية ۸: ۳۱۵، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ۲: ۲۶۷ عن مسند أحمد، بحار الأنوار ۳۳: ۳۳۹ و ۳۸: ص ۱۹ كلاهما عن شرح نهج البلاغة هذا ولم نعثر عليه فى مسند أحمد عبر الفهارس لعل الحديث فاتهم او لم يفهرسوه عمداً كما هو دأبُ بعضهم فى ترك فهرسة ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام.

ص: ۲۱۷

فهنا: نرى أن مسروق حلف بصاحب القبر.. ولم تردعه عائشة.

مناقشة حديث عبداللّه بن عمر:

روى الترمذي: ان ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال:

لا تحلف بغير اللّه فانّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول: من حلف بغير اللّه فقد كفر (۱).

فهذه على فرض صحّة السند، محمولة على الكراهة الشديدة، وامّا: على صورة اعتقاد التعظيم في المحلوف به، ما يعتقده في اللّه عزّوجلّ.

قال القسطلاني: والتعبير بالكفر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ.

وهل النهي للتحريم أو للتنزيه؟ المشهور عند المالكية: الكراهة وعند الحنابلة التحريم، وجمهور الشافعية: التنزيه.

وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة.

وقال غيره: بالتفصيل: فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده في اللّه، حرم وكفر بذلك الاعتقاد، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر (۲).

۱- إرشاد الساري ۹: ۳۵۸.

۲- المصدر نفسه.

ص: ۲۱۸

ص: ۲۱۹

الفصل الحادی عشر: الاحتفالات

اشارهٔ

الاحتفالات

۱- دعوی الوهابیهٔ ودلیلهم

۲- مناقشهٔ الدلیل

۳- سیرهٔ المسلمین

۴- الفتاوی وکلمات العلماء

۵- مناقشهٔ دلالهٔ الحدیث

۶- مناقشهٔ سند الحدیث

۷- تفسیر الحدیث ومفاده

ص: ٢٢٠

ص: ۲۲۱

تزعم الوهابیة ان من المنکرات: تکریم مولد النبی صلی الله علیه و آله بالاحتفال وقراءة القرآن وإنشاد القصائد، والإحسان إلی المؤمنین بالإطعام.

وفیما یلی عرض آرائهم وأدلّتهم:

۱- ابن تیمیة: «إن اتخاذ هذا الیوم عیداً، محدثٌ لا أصل له، فلم یکن فی السلف لا من أهل البیت ولا غیرهم من اتخذ ذلک عیداً، حتی یحدث فیه اعمالًا.. وانّما یفعل مثل هذا: النصاری الذین یتّخذون أمثال أیام حوادث عیسی علیه السلام أعیاداً أو الیهود، أو..

وکذلک ما یحدثه بعض الناس اما مضاهاةً للنصاری فی میلاد المسیح، وامّا محبّة للنبی صلی الله علیه و آله وتعظیماً له.. فإن هذا لم یفعله السلف، ولو کان خیراً محضاً أو راجحاً لکان السلف أحقَّ به مِنّا» (۱).

۲- وقال عبدالرحمن بن حسن آل شیخ: «قد أحدث هؤلاء

۱- اقتضاء الصراط المستقیم: ۲۹۳.

ص: ۲۲۲

المشركون أعياداً عند القبور التی تعبد من دون اللّه، ویسمّونها عیداً کمولد البدوی بمصر وغیره، بل هی أعظم، لما یوجد فیها من الشرک والمعاصی العظیمهٔ (۱).

۳- وقال محمد حامد الفقی: «والموالید والذکریات التی ملأتْ البلاد باسم الأولیاء هی نوع من العبادهٔ لهم وتعظیمهم» (۲).

واستدلّوا لرأیهم:

۱- بما رواه أبو هریرهٔ: «لاتجعلوا بیوتکم قبوراً ولا تجعلوا قبری عیداً، وصلّوا علیَّ، فإن صلاتکم تبلغنی حیث کنت» (۳).

۲- وما روی عن النبی صلی الله علیه و آله: نهی أن یُتّخذ- القبور- عیداً.

مناقشهٔ الفکرهٔ:

أوّلًا: فرق بین التکریم والعبادهٔ، وذلک لأن العنصر المقوّم للعبادهٔ هو الاعتقاد بألوهیهٔ المعبود، أو ربوبیّته، أو کونه مفوّضاً إلیه فعل الربّ، ولیس فی الاحتفال شیء من ذلک.

وفی التکریم: تجسید للأصل الوارد فی القرآن الکریم والروایات، وهو حب النبی صلی الله علیه و آله علی وجه یکون النبی صلی الله علیه و آله مقدّماً عند الإنسان علی نفسه.

امّا فی القرآن:

۱- کشف الارتیاب: ۴۴۸.

۲- انظر الملل والنحل للسبحانی ۴: ۳۲۰.

۳- مسند أحمد ۳: ۲۴۸.

ص: ۲۲۳

فقوله تعالى: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُّ إليكم من اللَّه ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي اللَّه بأمره واللَّه لايهدى القوم الفاسقين (۱).

واما في الحديث: فعن النبي صلى الله عليه و آله: «لايؤمن أحدكم حتى أكون [أنا وأهل بيتي] أحبَّ إليه من نفسه (۲) [وبنيه والناس جميعاً]» (۳).

فعلى قول حامد الفقي وغيره من الوهابيين أن يفرّقوا بين العبادة والتكريم، قبل أن يتهجّموا على من يقوم بالاحتفالات و..

ثانياً: ان الأصل في الأشياء هو الجواز ما لم يقم عليه منع شرعي، كما صرح ابن تيمية بهذا الأصل، حيث قال:

«إنّ الأصل في العادات عدم الحظر إلّاما حظره اللَّه» (۴).

وعليه: أولًا لم يرد منع شرعي عن الاحتفال، وما روى فسيأتي البحث فيه وانّه ضعيف سنداً ودلالةً.

ثانياً: وإن لم يكن لإقامة الاحتفال نصّ على الجواز ولكن يُعرف

۱- التوبة: ۲۳.

۲- الدر المنثور ۳: ۲۲۳.

۳- منتهى الآمال ۲: ۶۴۷، وفي البحار عن امالي الصدوق: لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبَّ إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته فقال رجل من القوم: يا أبا عبدالرحمان ما تزال تجيىء بالحديث يحيى اللَّه به القلوب» ۲۷: ص ۷۵ وص ۸۶، أحمد ۳: ۲۰۷- و ۴: ۳۳۶، انظر مصادره «موسوعة أطراف الحديث النبوي ۷: ۳۱۲».

۴- المجموع ۴: ۱۹۵.

ص: ۲۲۴

مشروعيته وجوازه من خلال الأصل المسلّم المتخذ من الكتاب والسنة، وهو حبّ النبىّ وأهل بيته، فالمنع عنه، يُعدّ مخالفة لإظهار هذا الحبّ ويكون إظهاراً للحقد والضغن الكامن فى القلب.

ثالثاً: إن ابن تيمية جعل المقياس فى الحلية والحرمة فعل السلف، فهل المقياس هو فعل السلف أم الكتاب والسنّة؟

ولو سلمنا ان السلف هو المقياس، فإنّهم قد أقاموا الاحتفالات على مر الأزمان ويشهد له نص المؤرّخين والمحدِّثين:

۱- قال القسطلانى: «ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم.. فرحم اللّه إمْرأً اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشدّ علةٍ على من فى قلبه مرض وإعياء داء» (۱).

۲- وقال الدياربكرى: «لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه، بأنواع الصدقات، يظهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويعتنون بقراءة مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كلُّ فضلٍ عميم» (۲).

فهذا هو فعل السلف وإجماع المسلمين فى عصور مختلفة ومتمادية.. وقد يرون حجّية الإجماع فى عصر واحد، فكيف بإجماعهم فى عصور مختلفة، وهل يحق بعد ذلك أن يقول ابن تيمية: «فإنّ هذا لم يفعله السلف..»؟!

۱- المواهب اللدنية ۱: ۲۷.

۲- تاريخ الخميس ۱: ۳۲۳.

ص: ۲۲۵

رابعاً: کلمات العلماء:

۱- قال ابن عباد: «اما المولـد، فالذی یظهر لی انه عید من أعیاد المسـلمین وموسم من مواسـمهم، وکلّ ما یفعل فیه ممّا یقتضـیه وجود الفرح والسرور بذلک المولد المبارک.. أمرٌ مباح لا منکر» (۱).

۲- القسطلانی: «رحم اللَّه إمرأ اتخذ لیالی شهر مولده المبارک أعیاداً لیکون أشدَّ علة علی من فی قلبه مرض واعیاء داء» (۲).

۳- یقال إن ممّن سبق فی احیاء الاحتفالات هو أبو سعید الأربلی عام ۶۳۰ ه.

وربّما یقال: إنّ أوّل من أحدثه بالقاهرة: الخلفاء الفاطمیون أوّلهم:

المعجز لدین اللَّه، توجّه من المغرب إلی مصر فی شوّال عام ۳۶۱ ه، وقیل فی ذلک غیره (۳).

تدل هذه الشواهد التاریخیة علی ان المسـلمین احتفلوا أزماناً لیست بالقصـیرة من دون معارضةٍ صـریحة ولا ضـمنیة من سائر المسلمین ولا من فقهائهم.

مناقشة الحدیث «لا تجعلوا قبری عیداً»

أوّلًا: ان أحمد بن حنبل نقلها بعبارة اخری وهی: «عن سهیل بن أبی صالح: «... اللهم لاتجعل قبری وثناً» (۴).

۱- المواسم والمراسم: ۲۰ نقلًا عن القول الفصل بمولد خیر الرسل: ۱۷۵.

۲- المواهب اللدنیة ۱: ۲۷.

۳- الملل والنحل للسبحانی ۴: ۳۲۳.

۴- مسند أحمد ۲: ۲۴۶.

ص: ۲۲۶

وعليه فيحتمل الخطأ فى النقل، وان الوارد عن النبى هو «وثناً» بأن يحذّرهم من اتخاذهم قبره مسجداً يسجد له أو يُجعل قبلة يتوجّه إليه فى الصلاة.

ثانياً: إن العيد لغة هو الموسم وعليه فلا يصح أن يقع خبراً لقوله «قبرى» إذ لا معنى لجعل القبر عيداً، وإنّما يصحّ جعل موسم أو يوم مشخّص عيداً، فيقال مثلًا: موسم الحج عيد، أو يوم الجمعة عيدٌ.

ثالثاً: إن الحديث على النقلين «عيداً- وثناً» ضعيف السند، إذ على النقل الأول: فى سنده سهيل ابن أبى صالح وعلى النقل الثانى فى سنده عبداللّه بن نافع وكلاهما ممّن لايُحتج بحديثهما:

اما سهيل بن أبى صالح:

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال ابن المدينى: مات أخٌ لسهيل ووجد- حزن- عليه، فنسى كثيراً من الحديث.

وقال ابن معين: ضعيف.

واما الراوى الثانى: «عبداللّه بن نافع».

قال البخارى: يعرف حفظه وينكر.

وقال ابن حنبل: «لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفاً، ولم يكن فى الحديث بذاك» (۱).

وقال الرازى: ليس بالحافظ هو لين تعرف حفظه وتنكر (۲).

۱- ميزان الاعتدال ۲: ۲۴۳، انظر: تهذيب الكمال ۱۲: ۲۲۳.

۲- الجرح والتعديل ۵: ۱۸۴، شفاء السقام: ۸۰.

ص: ۲۲۷

تفسیر الحدیث ومفاده:

۱- یحتمـل أن یکون المراد به: الحثّ علی کثرةِ زیـارة النبی صـلی الله علیه و آله وان لایهمل حتی لایزار إلّافی بعض الأوقات کالعید الذی لایأتی فی العام إلّامرّتین (۱)، بمثابة العید، وهذا هو رأی المنذری (۲).

۲- ویحتمل أن یکون المراد: لاتتخذوا وقتاً مخصوصاً لاتکون الزیارة إلّافیه، کما تری ان کثیراً من المشاهد لزیارتها یوم معیّن کالعید، وهذا هو رأی السبکی (۳).

۳- ویحتمـل أن یکون المراد: أن لاـ یجعـل کالعیـد فی العکوف علیه واظهار الزینـة والاجتماع وغیر ذلک، ممّا یعمل فی الأعیاد، بل: لابد وأن لایؤتی إلّاللزیارة والسلام والدعاء ثم ینصرف عنه.

وهو المتبادر من کلام الخفاجی الحنفی (۴).

۴- ویحتمـل أن یکـون المراد: ان اجتمـاعهم عنـد قـبره، ینبغی أن یکون مصـحوباً بـالخشوع والتأمّـل والاعتبـار حسـبما ینـاسب حرمته واحترامه، فإنَّ حرمته میتاً کحرمته حیّاً، فلا یکون ذلک مصحوباً باللهو واللعب والغفلة والمزاح ممّا اعتادوه فی أعیادهم» (۵).

۱- شفاء السقام: ۸۰ عن المنذری.

۲- المصدر نفسه.

۳- المصدر نفسه.

۴- شرح الشفا ۳: ۵۶۶.

۵- المواسم والمراسم: ۷۱.

ص: ۲۲۸

۵- قال الخفاجی الحنفی: واما قوله صلی الله علیه و آله: لاتتخذوا قبری عیداً، فقیل: کره الاجتماع عنده فی یوم معیّن علی هیئة مخصوصة.

وقیل: المراد لا تزوروه فی العام مرّة فقط بل أکثروا الزیارة له.

واما احتماله للنهی عنها فهو بفرض أنه المراد محمول علی حالة مخصوصة، أی لاتتخذوه کالعید فی العکوف علیه، واظهار الزینة عنده وغیره ممّا یُجْتَمع له فی الأعیاد. بل لایؤتی إلّاللزیارة والسلام والدعاء ثم ینصرف.

وقال أیضاً فی ص ۵۷۷ فی شرح الحدیث: أی کالعید باجتماع الناس، وقد تقدّم تأویل الحدیث وانه لا حجّة فیه لما قال ابن تیمیة وغیره فإن إجماع الامّة علی خلافه، یقتضی تفسیره بغیر ما فهموه فانّه نزعة شیطانیة» (۱).

۱- نسیم الریاض فی شرح الشفا ۳: ۵۲۳ و ۵۱۴، انظر الغدیر ۵: ۱۱۹.

ص: ۲۲۹

الخاتمة: کتب فی ردّ الوهّابیة

لائحة: بأسماء کتب فی رد الوهابیّة:

ألّف العلماء فی الرد علی الوهابیة عشرات الکتب، والجدیر بالذکر هو أن المؤلّفین لم یکونوا من الإمامیة فحسب، بل من کافّة المذاهب الإسلامیة بمن فیهم: الحنابلة (۱).

وفیما یلی لائحة بأسماء بعض تلک الکتب؛ علی الترتیب الهجائی:

۱- ابن تیمیة حیاته وعقائده، صائب عبد الحمید، معاصر.

۲- الآیات الجلیلة للشیخ مرتضی کاشف الغطاء ت ۱۹۳۱ ه.

۳- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوک تونس. وعهد الأمان، لأحمد بن أبی الضیّاف.

۴- الأجوبة النجدیة عن الأسئلة النجدیة، لأبی العون السفارینی الحنبلی ت ۱۱۸۸ ه.

۵- الأجوبة النعمانیة عن الأسئلة الهندیة، خیر الدین الآلوسی ۱۳۱۷ ه.

۱- بلغ عدد الردود من علماء السنّة أکثر من أربعین کتاباً، انظر: بحوث فی الملل والنحل ۴: ۳۵۴.

ص: ۲۳۰

۶- الآیات البیّنات فی قمع البدع والضلالات. فیها نقض فتاوی الوهابیة للشیخ محمد حسین كاشف الغطاء ۱۳۷۳ ه.

۷- الوهابیة فی المیزان، للشیخ جعفر السبحانی، معاصر.

۸- الأرض والتربة الحسینیة، للشیخ محمد حسین كاشف الغطاء، ۱۳۷۱ ه.

۹- إزاحة الغی فی الرد علی عبد الحی للسید علی بن الحسن العسكری ۱۲۴۰ ه. ردّاً علی الصراط المستقیم لعبد الحی حول منع إقامة العزاء.

۱۰- إزاحة الوسوسة، عن تقبیل الأعتاب المقدّسة، للشیخ عبداللّه المامقانی ت ۱۳۵۱ ه.

۱۱- إزهاق الباطل، للمیرزا محمد بن عبدالوهاب الكاظمی ۱۳۰۳ ه.

۱۲- الإسلام السعودی الممسوخ، للسید طالب الخرسان.

معاصر.

۱۳- الإسلام والوثنیة السعودیة. فهد القحطانی. معاصر.

۱۴- الاصول الأربعة فی تردید الوهابیة، محمد حسن جان السرهندی، ۱۳۴۶ ه.

۱۵- إظهار العقوق، ممّن منع التوسّل بالنبی والولی الصدوق.

۱۶- اعتراضات علی ابن تیمیة، أحمد بن إبراهیم الحنفی (۱).

۱- معجم المؤلفین ۱: ۱۴۰ و ۱۰: ۲۹۳.

ص: ٢٣١

١٧- الأقوال المرضية فى الرد على الوهابية. عطاء الكسم الدمشقى (١).

١٨- إكمال السنّة فى نقض منهاج السنّة، للسيد مهدى القزوينى ١٣٥٨ ه.

١٩- كمال المنة فى نقض منهاج السنّة، سراج الدين حسن بن عيسى اليمانى ١٣٥٣ ه.

٢٠- الإمامة الكبرى والخلافة العظمى فى ردّ منهاج ابن تيمية، للسيّد حسن القزوينى ١٣٨٠ ه.

٢١- الانتصار للأولياء الأبرار، للشيخ طاهر سنبل الحنفى ٢٥٠ ه.

٢٢- الإنصاف والانتصاف لأهل الحق من الاسراف ٧٥٧ ه.

٢٣- إهداء الحقير معنى حديث الغدير إلى أخيه البارع البصير، للسيد مرتضى الخسروشاهى ١٣٥٣ ه.

٢٤- الأوراق البغدادية فى الجوابات النجدية، ابراهيم البغدادى ١٣٥٤ ه.

٢٥- بحوث مع أهل السنة والسلفية. سيد مهدى الروحانى.

معاصر.

٢٦- برأت الشيعة من مفتريات الوهابية. محمد أحمد حامد

١- المصدر نفسه.

ص: ۲۳۲

السودانی.

۲۷- البراءة من الاختلاف، علی زین العابدین السودانی.

۲۸- البراهین الساطعة. للشیخ سلامة العزامی ۱۳۷۹ ه.

۲۹- البصائر لمنکری التوسل بأهل المقابر. حمد اللَّه الداجوی ۱۹۷۵

۳۰- المقالات السنیة فی رد ضلالات ابن تیمیة، للشیخ عبداللَّه الهرری. معاصر.

۳۱- تاریخ الوهابیة. أیوب صبری باشا، صاحب مرآة الحرمین (۱).

هذا والحمد للَّهوله المنّة، علی أن وفّقنی لانجاز هذا الجهد المتواضع خلال القائه بعنوان دروس ومحاضـرات فی حوزة الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وحوزة الزهراء علیها السـلام فی بیروت، وقبل سـبع سـنوات وبشـکل مختصـر فی جامعـة الزهراء علیها السـلام بقم المقدّسة. ثم جمعه وتنقیحه وتهذیبه بعنوان تألیف متواضع، خدمة بسیطة لأهل البیت علیهم السلام. نسأل اللَّه عزّوجلّ القبول. واللَّه من وراء القصد.

۱- انظر مجلّة تراثنا العدد الرابع شوال/ ۱۴۰۹، فقد ورد فیها أکثر من مائتی عنوان کتاب فی الرد علی الوهابیة.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹